نـــور الإيمـــان

زاد العقول لبلوغ الهمة

لمعرفة مصابيح الأمة

نـــور الإيمـــان

زاد العقول لبلوغ الهمة لمعرفة مصابيح الأمة

إعداد

رمزه خير الله

الجزء الخامس

عالم الكتب

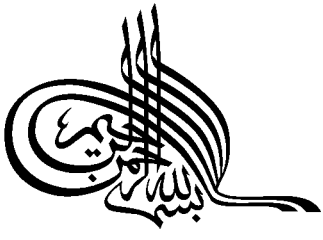

الإهـداء

إلى رسول الله .. السلام عليك يا رسـول الله .. الـسلام عليـك يـا خِيرة خلق الله .. السلام عليك يا خيـرْ خلق الله .. الـسلام عليـك يـا حبيب الله .. السلام عليك يا سيد المرسلين .. السلام عليك يا رسـول رب العالمين .. السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ....

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرتـه من خلقه ...

وأشهد أنك قد بلغت الرسالة .. وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة، وجاهدت فى الله حق جهاده ..

اللهم آتـى سـيدنا محمـد الوسـيلة والفـضيلة وابعثـه اللهـم المقـام المحمود الذى وعدته ...

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ....

مقدمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

ما كان حديثًا يفترى، ذلك الحديث الذى روى به التاريخ أنباء أعظم ثلة ظهرت فى دنيا العقيدة والإيمان فالعظمة الباهرة التى نراها على صفحات هذا الكتاب لأولئك الرجال الشاهقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليست أساطير، وإن بدت كذلك من فرط إعجازها.

إنها حقائق تشكل كل ما كان لأصحاب الرسول من شخصية، وحياة ... وإنها لتسمو وتتألق بقدر ما بذلوا فى سبيل التفوق، والكمال من جهد خارق وهذا الكتاب لا يزعم لنفسه هذه العظمة كاملة لمن يقرأه ... إذ حسبه أن يومئ إلى سماتها ويتطلع إلى سمائها ... لقد جاءوا الحياة فى أوانهم المرتقب ويومهم الموعود، فحين كانت الحياة تهب بمن يجدد لقيمتها الروحية شبابها وصوابها، جاء هؤلاء مع رسولهم الكريم العظيم ثوارًا ومحررين.

كيف أنجز أولئك الأبرار كل هذا الذى أنجزوه فى بضع سنين ؟

كيف سيطروا على العالم القديم بإمبراطورياته وصولجاناته وحولوه إلى كثيب مهيل ؟؟

كيف استطاعوا وبسرعة البرق أن يضيئوا الضمير الإنساني بحقيقة التوحيد ويزيحوا منه إلى الأبد وثنية القرون .... ؟! تلك هى معجزتهم الحقة

وفى هذا الكتاب أقدم شخصيات من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء ينوبون عن الألوف من إخوانهم الذين عاصروا الرسول وآمنوا به ونصروه

... ففى صورهم نرى صور جميع الأصحاب ونرى إيمانهم وثباتهم وبطولاتهم وولائهم لله وللرسول ...

والآن لنقترب في خشوع وغبطة من أولئك الرجال الأبرار الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)

مُصعب بن عُمير

أول سفراء الإسلام

هذا رجل من أصحاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ما أجمل أن نبدأ به الحديث غرة فتيان قريش وأوفاهم بهاءً وجمالًا وشبابًا يصفه المؤرخون والرواة فيقولون : كان أعطر أهل مكة ، ولد فى النعمة وغُذى بها ، ذلك الفتى المدلل المُنّعم إنه مُصعب بن عُمير ، أو مُصعب الخير كما كان لقبه بين المسلمين كان رغم حداثة سنه زينة المجالس والندوات ، فكانت كل ندوة تحرص على أن يكون مُصعب بين شهودها وذلك لأناقته ورجاحة عقله .

لقد سمع أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن آمن معه يجتمعون بعيدًا عن قريش هناك على الصفا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، فلم يطل به التردد فذهب إلى دار الأرقم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقى بأصحابه فيتلو عليهم القرآن .

بسط النبى صلى الله عليه وسلم ، يمينه المباركة حتى لامست صدره فكانت السكينة ، وفى لمح البصر كان الفتى الذى آمن وأسلم يبدو ومعه من الحكمة ما يفوق ضعف سنه وعمره... كانت أمه "خُناس بنت مالك" تتمتع بقوة فذة فى شخصيتها وكانت تُهاب إلى حد الرهبة .

وحين أسلم مُصعب لم يكن يخاف أحد على ظهر الأرض قوة سوى أُمه ، وأن خصومة أمه له هذا هو الهول الذى لا يطاق .

ظل يتردد على دار الأرقم سرًّا وأمه لا تعلم عن إسلامه شىء إلى أن أبصر به عثمان بن طلحة وهو يدخل خفية إلى دار الأرقم ثم رآه مرة أخرى وهو يصلى كصلاة محمد ، فذهب إلى أم مُصعب وألقى عليها النبأ ، فطار صوابها .

وقف مُصعب أمام أمه وعشيرته وأشراف مكة يتلو عليهم فى يقين القرآن ... وهمت أمه أن تُسكته بلطمة قاسية، ولكن ما لبثت أن استرخت يدها وترنحت أمام النور الذى زاد وسامة وجهه .

ولكنها مضت به إلى ركن قصى من أركان دارها وحبسته فيه وأحكمت عليه إغلاقه ، وظل رهين محبسه حتى خرج بعض المؤمنين مهاجرين إلى أرض الحبشة ، فاحتال لنفسه حين سمع النبأ وغافل أمه وحراسه ومضى إلى الحبشة مهاجرًا... ومكث فى الحبشة مع إخوانه المهاجرين .

لقد منعته أمه حين يئست من ردته كل ما كانت تفيض عليه من نعمة ، وأصبح الفتى المتألق المعطر ، لا يُرى إلا مرتديًا أخشن الثياب يأكل يومًا ويجوع أيام ، ولكن روحه المتأنقه بسمو العقيدة والمتألقة بنور الله جعلت منه إنسانًا يملأ الأعين جلالًا والأنفس روعة .

اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد عودته من الحبشة ، لأعظم مهمة فى حينها أن يكون سفيره إلى المدينة ، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، عند العقبة ، ويُعد المدينة ليوم الهجرة العظيم .. لقد كان فى أصحاب الرسول يومئذ من هم أكبر منه سنًّا وأكثر جاهًا وأقرب إلى الرسول ، ولكن اختاره وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة، ويلقى بين يديه بمصير الإسلام فى المدينة التى ستكون دار الهجرة .

وحمل مُصعب الأمانة مستعينًا بما أنعم الله عليه من عقل راجح ، وخلق كريم .

لقد دخل مُصعب المدينة وليس فيها سوى اثنى عشر مسلمًا هم الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، من قبل بيعة العقبة ، ولكنه لم يكد يمكث بينهم بضعة أشهر حتى استجابوا لله وللرسول وفى موسم الحج التالى ذهب إلى مكة وفدًا يمثل المسلمين فى المدينة وكان عدد أعضائه سبعين مؤمنًا ومؤمنة جاءوا تحت قيادة معلمهم " مُصعب بن عُمير " .

لقد نزل مُصعب فى ضيافة "أسعد بن زرارة" يذهبان معًا للقبائل والبيوت والمجالس تاليًا على الناس ما معه من كتاب ربه، ولقد تعرض لبعض المواقف التى كان يمكن أن تودى به وبمن معه لولا فطنة عقله وعظمة روحه .

ذات يوم فاجأه وهو يعظ الناس "أُسيد بن حُضير" سيد بنى عبد الأشهل بالمدينة فاجأه شاهرًا حربته ، يتوهج غضبًا وحنقًا على هذا الذى جاء يفتن قومه عن دينهم ويدعوهم لهجر آلهتهم ويحدثهم عن إله واحد لم يعرفوه من قبل .

وقف أُسيد مهتاجًا أمام مُصعب يخاطبه هو وأسعد بن زرارة قال : "ما جاء بكما إلى حيّنا تسفّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة" .

وفى مثل هدوء البحر وقوته انفرجت أسارير مُصعب الخير وتحرك بالحديث الطيب لسانه فقال : "أولًا تجلس فتستمع ؟ فإن رضيت أمرنا قبلته ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره" .

وكان أُسيد رجلًا عاقلًا فوافق وقال : أنصت، وألقى حربته إلى الأرض وجلس يصغى ولم يكد مُصعب يقرأ القرآن ويفسر الدعوة حتى أخذت أسارير أسيد تبرق وتشرق ، ولم يكد مُصعب يفرغ من حديثه حتى هتف به أُسيد ما أحسن هذا القول وأصدقه .. وقال : كيف يصنع من يريد أن يدخل فى هذا الدين ؟ فأجابه بتهليلة رجت الأرض رجًا وقال له مُصعب : "يطهر ثوبه وبدنه ويشهد أن لا إله إلا الله" .

فغاب أُسيد عنهم غير قليل ثم عاد يقطر الماء الطهور من شعر رأسه ووقف يعلن أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . وسرى الخبر كالضوء ..وجاء سعد بن مُعاذ فأصغى لمُصعب واقتنع وأسلم ، ثم تلاه سعد بن عُبادة وتمت بإسلامهم النعمة وأقبل أهل المدينة وأسلموا ...

لقد نجح أول سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، نجاحًا منقطع النظير، وتمضى الأيام والأعوام ، ويهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحبه إلى المدينة.

وتأتى غزوة بدر فيلقنون فيها المشركين درسًا يفقدهم بقية صوابهم .. وبعد ذلك بدءوا يسعون إلى الثأر ، وتجىء غزوة أحد ، ويدعو الرسول صلى الله عليه وسلم ، مُصعب الخير فيتقدم ويحمل اللواء ، وتشب المعركة الرهيبة ويحتدم القتال ، ويخالف الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ،ويغادرون الجبل بعد أن رأوا المشركين ينسحبون .. لكن بعملهم هذا سرعان ما حولوا نصر المسلمين إلى هزيمة، ويفاجأ المسلمون بفرسان قريش تغشاهم من أعلى الجبل، وركزوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لينالوه، وأدرك مُصعب الخطر الغادر، فرفع اللواء عاليًا وأطلق تكبيرة كالزئير ، ومضى يصول ويجول ويتواثب وكل همه أن يلفت نظر الأعداء إليه ويشغلهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ، يد تحمل الراية فى تقديس ، ويد تضرب بالسيف فى عنفوان .

قيل عن مُصعب : حمل مُصعب اللواء يوم أُحد ، وثبت به فأقبل ابن قمئة وهو فارس ، فضرب مُصعب على يده اليمنى فقطعها وأخذ اللواء بيده اليسرى وحمل عليه فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مُصعب وسقط اللواء ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه يتفقدون أرض المعركة بعد الانتهاء ، وعند جثمان مُصعب سالت دموع وفيَّة غزيرة ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعيناه تلفانه بضيائها وحنانها وقال : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ثم ألقى فى أسى نظرة على بردته التى كفن فيها وقال : "لقد رأيتك بمكة وما بها أرق حلة ولا أحسن يمة منك ثم ها أنت ذا شعث الرأس فى برد" .

يقول خباب بن الأرت : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سبيل الله نبتغى وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى ولم يأكل من أجره فى دنياه

شيئًا – منهم مُصعب بن عمير ، قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة – يعنى بردة – فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه برزت رأسه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اجعلوها مما يلى رأسه واجعلوا على رجليه من نبات الأذفر».

وقال لأصحابه :«أيها الناس زوروهم واتوهم وسلموا عليهم فو الذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامه إلا ردوا عليه السلام» .

السلام عليك يا مُصعب.

سلمان الفارسى

"الباحث عن الحقيقة"

من بلاد فارس ، يجىء البطل هذه المرة !!

سلمان الذى غادر ثراء أبيه الباذخ ، ولكن كيف بيع فى سوق الرقيق فى طريق بحثه عن الحقيقة ؟ .. كيف التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف آمن به؟ .. تعالو نقترب من مجلسه الجليل ونصغ إلى النبأ الباهر الذى يرويه .

يقول سلمان :

كنت رجلًا من أهل أصبهان ، من قرية يقال لها "جىّ" وكنت أحب الناس إلى أبى وقد اجتهدت فى المجوسية حتى كنت قاطن النار التى نوقدها ولا نتركها تخبو.

وكان لأبى ضيعة أرسلنى إليها يومًا، وفى الطريق مررت بكنيسة للنصارى فسمعتهم يصلون فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فأعجبنى ما رأيت من صلاتهم، وقلت لنفسى هذا خير من ديننا الذى نحن عليه ، فما تركتهم حتى غابت الشمس ولم أذهب إلى ضيعة أبى ولا أنا ذهبت إليه فأرسل من يبحث عنى .. أما عن النصارى فلما أعجبنى أمرهم وصلاتهم سألتهم عن أصل دينهم فقالوا : فى الشام .

وأخبرت أبى حين عدت إليه بالأمر فحاورنى وحاورته، ثم جعل فى رجلى حديدا وحبسنى حتى لا أعود مرة أخرى إلى النصارى وأدخل فى دينهم أرسلت إلى النصارى أخبرهم أنى دخلت فى دينهم ، وسألتهم إذا قدم عليهم ركب من الشام أن يخبرونى قبل عودتهم إليها لأرحل معهم .. وقد فعلوا ، فحطمت الحديد وخرجت وانطلقت معهم إلى الشام وهناك سألت عن عالمهم فقيل لى :

هو الأسقف صاحب الكنيسة ، فأتيته وأخبرته خبرى ، فأقمت معه أخدم ، وأصلى، وأتعلم وكان هذا الأسقف رجل سوء فى دينه ، إذ كان يجمع الصدقات من الناس ليوزعها ثم يكنزها لنفسه ، ثم مات .

وجاءوا برجل فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلًا على دينهم خيرًا منه ولا أعظم رغبة فى الآخرة وزهدًا فى الدنيا ودأبًا على العبادة .. أحببته حبًّا ما علمت أننى أحببت أحدًا مثله قبله .. فلما حضره قدره ، قلت له : إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، فبم تأمرنى .. وإلى من توصى بى ؟؟ قال : أى بنى ، ما أعرف أحدًا من الناس على مثل ما أنا عليه إلا رجلًا بالموصل .. فلما توفى ، ذهبت إلى صاحب الموصل فى العراق ، فأخبرته الخبر وأقمت معه ما شاء الله أن أقيم ، ثم حضرته الوفاة ، فسألته فدلنى على عابد فى نصيبين ، فذهبت إليه وأخبرته خبرى ثم أقمت معه ما شاء الله أن أقيم فلما حضرته الوفاة سألته ، فأمرنى أن ألحق برجل فى عمورية من بلاد الروم ، فرحلت إليه وأقمت معه واصطنعت لمعاشى بقرات وغنمات .. ثم حضرته الوفاة فقلت له : إلى من توصى بى ؟ فقال لى : يا بنى ما أعرف أحدًا على مثل ما كنا عليه حتى آمرك أن تأتيه .

ولكنه قد أظلك زمان نبى يُبعث بدين إبراهيم حنيفًا .. يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حارتين ، فإن استطعت أن تخلص إليه فافعل وإن له آيات لا تخفى ...

فهو لا يأكل الصدقة ... ويقبل الهدية ... وإن بين كتفيه خاتم النبوة ، إذا رأيته عرفته .

وذات يوم مر بى ركب فسألتهم عن بلادهم فعلمت أنهم من جزيرة العرب فقلت لهم : أعطيكم بقراتى هذه وغنمى على أن تحملونى معكم إلى أرضكم ؟ .. قالوا نعم ، واصطحبونى معهم حتى قدموا بى وادى القرى وهناك ظلمونى وباعونى إلى رجل يهودى وبصرت بنخل كثير فطمعت أن تكون هى البلدة التى

وصفت لى، والتى ستكون مهاجر النبى المنتظر .. ولكنها لم تكن هى ، وأقمت عند الرجل الذى اشترانى حتى قدم عليه يومًا رجل من يهود بنى قريظة فابتاعنى منه ، ثم خرج بى حتى قدمت المدينة !! فوالله ما هو إلا أن رأيتها حتى أيقنت أنها البلد التى وصفت لى .. وأقمت معه أعمل له فى نخله فى بنى قريظة حتى بعث الله رسوله وحتى قدم المدينة ونزل فى بنى عمرو بن عوف .

وإنى لفى رأس نخلة يومًا وصاحبى جالس تحتها إذ أقبل رجل من يهود ، من بنى عمه فقال يخاطبه : قاتل الله بنى قيلة إنهم ليتقاصفون على رجل بقباء ، قادم من مكة يزعمون أنه نبى فوالله ما هو إلا أن قالها حتى كدت أسقط فوق صاحبى !! ثم نزلت سريعًا أقول : ماذا تقول ؟ .. ما الخبر .. ؟؟

فرفع سيدى يده ولطمنى لطمة شديدة ثم قال : مالك ولهذا .. ؟ أقبل على عملك .. وأقبلت على عملى ولما أمسيت جمعت ما كان عندى ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقباء .. فدخلت عليه ومعه نفر من أصحابه، فقلت له : إنكم أهل حاجة وغربة وقد كان عندى طعام نذرته للصدقة ، فلما ذُكر لى مكانكم رأيتكم أحق الناس به فجئتكم به .....

ثم وضعته ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه :

"كلوا باسم الله" وأمسك هو فلم يبسط إليه يدًا فقلت فى نفسى : هذه والله واحدة .. إنه لا يأكل الصدقة ثم رجعت ، وعدت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغداة، أحمل طعاماً وقلت له عليه الصلاة والسلام ، : إنى رأيتك لا تأكل الصدقة وقد كان عندى شىء أحب أن أكرمك به هدية .. ووضعته بين يديه ، فقال لأصحابه : "كلوا باسم الله .. وأكل معهم .. قلت لنفسى : هذه والله ، الثانية .. إنه يأكل الهدية .. !! ثم رجعت فمكثت ما شاء الله ، ثم أتيته فوجدته فى البقيع قد تبع جنازة، وحوله أصحابه وعليه شملتان مؤتزرًا بواحدة مرتديًا الأخرى ، فسلمت عليه ، ثم عدلت لأنظر أعلى ظهره فعرف أنى أريد ذلك ، فألقى بردته عن كاهله،

فإذا العلامة بين كتفيه .. خاتم النبوة ، كما وصفه لى صاحبى .. فأكببت عليه أقبله وأبكى .. ثم دعانى عليه الصلاة والسلام ، فجلست بين يديه وحدثته حديثى كما أحدثكم الآن .. ثم أسلمت .. وحال الرق بينى وبين شهود غزوة بدر وغزوة أُحد، وفى ذات يوم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، : "كاتب سيدك حتى يعتقك" فكاتبته ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصحابة كى يعاونونى .. وحرر الله رقبتى ، وعشت حرًّا مسلمًا وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، غزوة الخندق والمشاهد كلها.

بهذه الكلمات الوضاء العذاب تحدث "سلمان الفارسى" عن مغامرته الزكية النبيلة العظيمة فى سبيل بحثه عن الحقيقة الدينية التى تصله بالله .

أى إنسان شامخ كان هذا الإنسان .. أى تفوق عظيم أحرزته روحه وفرضته إرادته الغلابة على المصاعب فقهرتها وعلى المستحيل فجعلته ذلولا... ؟

أى تبتل للحقيقة .. وأى ولاء لها هذا الذى أخرج صاحبه طائعًا مختارًا من ضياع أبيه وثرائه ونعمائه إلى المجهول بكل أعبائه ومشاقه ينتقل من أرض إلى أرض.. ومن بلد إلى بلد .... ناصبًا .. كادحًا .. عابدًا ، تفحص بصيرته الناقدة الناس والمذاهب والحياة .. ويظل فى إصراره العظيم وراء الحق وتضحياته النبيلة من أجل الهدى حتى يباع رقيقًا .. ثم يثيبه الله ثوابه الأوفى ، فيجمعه بالحق ، ويلاقيه برسوله، ثم يعطيه من طول العمر ما يشهد معه بكلتا عينيه رايات الله تخفق فى كل مكان من الأرض وعُباده المسلمون يملئون أركانها وأنحائها هدىً ، وعمرانًا ، وعدلًا .

يوم الخندق .. وقف الأنصار يقولون : سلمان منا .. ووقف المهاجرون يقولون: بل سلمان منا .. وناداهم الرسول صلى الله عليه وسلم قائلًا : "سلمان منا آل البيت".

كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يلقبه بـ "لقمان الحكيم" سئل عنه بعد موته

فقال : "ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت .. من لكم بمثل لقمان الحكيم .. ؟ أوتى العلم الأول ، والعلم الآخر وقرأ الكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، وكان بحرًا لا ينزف" ولقد بلغ فى نفوس أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، المنزلة الرفيعة والمكان الأسمى ، لقد عاش سلمان مع الرسول صلى الله عليه وسلم منذ التقى به وعاش مع خليفته أبو بكر ثم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم الخليفة عثمان حيث لقى ربه أثناء خلافته .

ومعظم هذه السنوات كانت رايات الإسلام تملأ الأفق وكانت الكنوز والأموال تحمل إلى المدينة فيئًا وجزية فتوزع على الناس فى صورة أعطيات ومرتبات ثابتة، وكثرت مسئوليات الحكم وكثرت الأعمال والمناصب تبعًا لها .

فأين "سلمان" فى هذا الخضم ؟ وأين نجده فى أيام الرخاء والثراء والنعمة تلك؟ انظروا جيدًا فى ثوبه القصير الذى انحسر فى قصره الشديد إلى ركبتيه .. إنه هو فى جلال مشيبه وبساطته وكان عطاؤه وفيرًا .. كان بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم فى العام ، ولكنه كان يوزعه جميعًا ويرفض أن يناله منه درهم واحد .. وكان يأكل من عمل يده ، فكان يضفر الخوص ويجدله ويصنع منه أوعية ومكاتل.

وكان يقول : "أشترى خوصًا بدرهم ، فأعمله ثم أبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهمًا فيه ، وأنفق درهما على عيالى ، وأتصدق بالثالث ولو أن عمر بن الخطاب نهانى عن ذلك ما انتهيت" .

ها هو سلمان .. من فارس بلاد البذخ والترف والمدنية ، لم يكن من فقراء الناس بل كان من صفوتهم .. ما باله اليوم يرفض المال والثروة والنعيم ويصر على أن يكتفى فى يومه بدرهم يكسبه من عمل يده ؟ ما باله يرفض الإمارة ويهرب منها ويقول : "إن استطعت أن تأكل التراب ولا تكونن أميرًا على اثنين ، فافعل .." .

ما باله يهرب من الإمارة والمنصب إلا أن تكون إمارة على سرية ذاهبة إلى الجهاد.. وإلا أن تكون فى ظروف لا يصلح لها سواه فيكره عليها إكراهًا .. ما باله

حين يلى هذه الإمارة المفروضة عليه فرضًا يأبى أن يأخذ عطاءها الحلال ..؟؟ ويأكل من عمل يده ما باله يصنع كل هذا الصنيع ، ويزهد كل ذلك الزهد ، وهو الفارس ابن النعمة وربيب الحضارة ... ؟

لنستمع الجواب منه وهو على فراش الموت تتهيأ روحه العظيمة للقاء ربها العلى الرحيم .. دخل عليه "سعد بن أبى وقاص" يعوده ، فبكى سلمان . قال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبدالله .. ؟ لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عنك راضٍ .. فأجابه سلمان : والله ما أبكى جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عهد إلينا عهدًا ، فقال :"ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب" وها أنذا حولى هذه الأساود !! يعنى أشياء كثيرة ! قال سعد: فنظرت ، فلم أرى حوله إلا جفنة ومطهرة ، فقلت له : يا أبا عبدالله ، أعهد إلينا بعهد نأخذه عنك ، فقال: يا سعد: "اذكر الله عند همك إذا هممت .. وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت ..." لقد عهد إليه النبى صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه جميعًا : ألا يدعوا الدنيا تتملكهم ، وألا يأخذ أحدهم منها إلا مثل "زاد الراكب" .

لذلك هطلت دموعه حين رأى روحه تتهيأ للرحيل ، مخافة أن يكون قد جاوز المدى .. ليس حوله إلا جفنة يأكل فيها ومطهرة يشرب فيها ويتوضأ ومع هذا يحسب نفسه مترفًا .

موقفه يوم غزوة الخندق "الأحزاب" :

كان ذلك فى السنة الخامسة للهجرة ، إذ خرج نفر من زعماء اليهود قاصدين مكة، مؤلبين المشركين ، ومحزبين الأحزاب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، متعاهدين معهم على أن يعاونوهم فى حرب حاسمة تستأصل شأفة هذا الدين الجديد .

ووضعت خطة الحرب الغادرة على أن تهاجم قريش وغطفان المدينة من خارجها ، بينما تهاجم بنو قريظة من الداخل ، من وراء صفوف المسلمين ، الذين سيقفون آنئذ بين شقى رحى تطحنهم وتجعلهم ذكرى ... !

وفوجئ الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون يومًا بجيش كبير يقترب من المدينة فى عدة متفوقة ، وعتاد مدمدم ، وكاد صواب المسلمين يطير من هول المباغتة ، وصور لنا القرآن الكريم الموقف فقال : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾.

أربعة وعشرون ألف مقاتل تحت قيادة أبى سفيان ، وعيينة بن حصن يقتربون من المدينة ليطوقوها ، وليبطشوا بطشتهم ، وهذا الجيش لا يمثل قريشًا وحدها .. بل معها كل القبائل والمصالح التى رأت فى الإسلام خطرًا عليها .

ورأى المسلمون أنفسهم فى موقف عصيب وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصحابه ليشاورهم فى الأمر ... هناك تقدم الرجل الطويل الساقين الغزير الشعر ، الذى كان الرسول يحمل له حبًّا عظيمًا واحترامًا كبيرًا تقدم "سلمان الفارسى" وألقى من فوق هضبة عالية نظرة فاحصة على المدينة فوجدها محصنة بالجبال والصخور المحيطة بها ، ولكن هناك فجوة واسعة ، ممتدة ومهيأة يستطيع الجيش أن يقتحم منها الحمى فى يسر .

وكان سلمان قد خبر فى بلاد فارس الكثير من وسائل الحرب وخدع القتال ، فتقدم للرسول صلى الله عليه وسلم ، بمقترحه الذى لم يعهده العرب فى حروبها ، وكان عبارة عن حفر خندق يغطى جميع المنطقة المكشوفة حول المدينة .. والله يعلم ، ماذا كان المصير الذى ينتظر المسلمين فى تلك الغزوة لو لم يحفروا الخندق الذى لم تكد قريش تراه حتى دوختها المفاجأة ، وظلت قواتها فى خيامها شهرًا وهى عاجزة عن اقتحام المدينة ، حتى أرسل الله تعالى عليها ذات ليلة ريح صرصرٍ عاتية ،

اقتلعت خيامها وبددت شملها ، ونادى أبو سفيان فى جنوده آمرًا بالرحيل إلى حيث جاءوا فلولًا يائسة !!

خلال حفر الخندق كان "سلمان" يأخذ مكانه مع المسلمين وهم يحفرون .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل معوله ويضرب معهم وفى الرقعة التى يعمل فيها "سلمان" مع فريقه وصحبته اعترضت معاولهم صخرة عاتية .

كان "سلمان" قوى البنية ، وكانت ضربة واحدة من ساعده تفلق هام الصخر وتنثره شظايا ، لكنه وقف أمام هذه الصخرة عاجزًا .. وتواصى عليها بمن معه جميعًا فزادتهم رهقًا .. !! وذهب "سلمان" إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستأذنه فى أن يغيروا مجرى الحفر تفاديًا لتلك الصخرة العنيدة المتحدية وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع "سلمان" يعاين بنفسه المكان والصخرة .. وحين رآها دعا بمعول ، وطلب من أصحابه أن يبتعدوا قليلًا عن مرمى الشظايا...

وسمى الله ، ورفع كلتا يديه الشريفتين القابضتين على المعول فى عزم وقوة ، وهوى بها على الصخرة فإذا بها تنثلم ويخرج من ثنايا صدعها الكبير وهجًا عاليًا مضيئا.

يقول "سلمان" لقد رأيته – أى الوهج – يضىء ما بين لابتيها أى يضىء جوانب المدينة .. وهتف الرسول صلى الله عليه وسلم ، مكبرًا "الله أكبر .. أعطيت مفاتيح فارس ، ولقد أضاء لى منها قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وإن أمتى ظاهرة عليها" .

ثم رفع المعول وهوت ضربته الثانية، فتكررت الظاهرة وبرقت الصخرة المتصدعة بوهج مضىء مرتفع ، وهلل الرسول صلى الله عليه وسلم ، مكبرًا : "الله أكبر .. أُعطيت مفاتيح الروم ، ولقد أضاء لى منها قصورها الحمراء، وإن أمتى ظاهرة عليها" .

ثم ضرب ضربته الثالثة فألقت الصخرة سلامها واستسلامها وأضاء برقها الشديد الباهر ، وهلل الرسول ، وهلل المسلمون معه .. وأنبأهم أنه يبصر الآن قصور سورية وصنعاء وسواها من مدائن الأرض التى ستخفق فوقها راية الله يومًا، وصاح المسلمون فى إيمان عظيم : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾.

ولقد عاش "سلمان" حتى رأى البشرى حقيقة يعيشها وواقعًا يحياه ، فرأى مدائن الفرس والروم ، رأى قصور صنعاء وسوريا ومصر والعراق .. رأى جنبات الأرض كلها تهتز بالدوى المبارك الذى ينطلق من رُبى المآذن العالية فى كل مكان مشعًا أنوار الهدى والخير، حكى "سلمان" كل ذلك لجلسائه وهو جالس تحت ظل الشجرة الملتفة أمام داره "بالمدائن" يُحدث جلساءه عن مغامرته العظمى فى سبيل الحقيقة ، ويقص عليهم كيف غادر دين قومه الفرس إلى المسيحية ثم إلى الإسلام ..

إننا نذكر له أنه فى الأيام التى كان فيها أميرًا على المدائن لم يتغير من حاله شىء، فقد رفض كما رأينا أن يناله من مكافأة الإمارة درهم .. وظل يأكل من عمل الخوص ، ولباسه ليس إلا عباءة تنافس ثوبه القديم فى تواضعها .

وذات يوم ، وهو سائر فى الطريق لقيه رجل قادم من الشام ومعه حمل تين وتمر .. وكان الحمل ثقيل على الشامى ، فلم يكد يبصر أمامه رجلًا يبدو عليه أنه من عامة الناس وفقرائهم حتى أعطاه شيئًا نظير أن يحمل عنه حمله ، فحمله ومضيا معًا، وإذا هما فى الطريق بلغا جماعة من الناس ، فسلم عليهم وأجابوا واقفين .. وعلى الأمير السلام ، قال الرجل الشامى فى نفسه .. أى أمير يعنون ..؟؟ ولقد زادت دهشته حين رأى بعض هؤلاء يسارع صوب "سلمان" ليحمل عنه قائلين : عنك أيها الأمير ..!!

فعلم الشامى أنه أمير المدائن "سلمان الفارسى" فسقط فى يده وهربت كلمات الاعتذار والأسف من بين شفتيه واقترب ينتزع الحمل ولكن "سلمان" هز رأسه رافضًا وهو يقول: "لا ، حتى أبلغك منزلك" ..!!

سئل يومًا : ما الذى يبغض الإمارة إلى نفسك .. ؟ فأجاب "حلاوة رضاعها ، ومرارة فطامها" ..

لم يكن هناك من طيبات الحياة الدنيا شىء ما يركن إليه سلمان لحظة ، أو تتعلق به نفسه إثاره ، إلا شيئًا كان يحرص عليه أبلغ الحرص ، ولقد ائتمن عليه زوجته ، وطلب منها أن تخفيه فى مكان بعيد وأمين .

وفى مرض موته، وفى صبيحة اليوم الذى قبض فيه ناداها: " هلمى خبيك التى استخبأتك"..!! فجاءت بها ، وإذا هى صرة مسك كان قد أصابها يوم فتح "جلولاء" فاحتفظ بها لتكون عطره يوم مماته .

ثم دعا بقدح ماء نثر المسك فيه ، ثم ماثه بيده، وقال لزوجته: "أنضحيه حولى .. فإنه يحضرنى الآن خلق من خلق الله ، لا يأكلون الطعام وإنما يحبون الطيب".

فلما فعلت : قال لها : ارجعى على الباب وانزلى ...

ففعلت ما أمرها به ..

وبعد حين رجعت إليه فإذا روحه المباركة قد فارقت جسده ودنياه .

لقد آن له اليوم أن يرتوى وينهل .

أبو ذر الغفارى

زعيم المعارضة ، وعدو الثروات

اسمه : جُندُب بن جُنادة

دخل مكة متنكرًا كأنه واحد من أولئك الذين يقصدونها ليطوفوا بآلهة الكعبة ، أو كأنه عابر سبيل ضل طريقه ، أو طال به السفر والارتحال فأوى إليها يستريح ويتزود .

فلو علم أهل مكة أنه جاء يبحث عن محمد صلى الله عليه وسلم ، لفتكوا به، مضى يتسمع الأنباء من بعيد ، وكلما سمع قومًا يتحدثون عنه اقترب منهم فى حذر حتى جمع ما دله عليه وعلى المكان الذى يستطيع أن يراه فيه، وفى صبيحة يوم ذهب إليه واقترب منه وقال : نعمت صباحًا يا أخا العرب فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم : "وعليك السلام يا أخاه" ، قال أبو ذر : أنشدنى مما تقول .. فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما هو بشعر فأنشدك ، ولكنه قرآن كريم ...

قال أبو ذر : اقرأ علىَّ .. فقرأ عليه "الرسول" وأبو ذر يصغى، ولم يمض من الوقت غير قليل حتى هتف أبو ذر : "أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" .

وسأله النبى صلى الله عليه وسلم ، "ممن أنت يا أخا العرب ..." ؟

فأجاب أبو ذر : من غفار .. واكتسى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالدهشه والعجب حين علم أن هذا الذى يجهر بالإسلام أمامه إنما هو رجل من غفار ..!! فغفار هذه قبيلة أهلها مضرب الأمثال فى السطو غير المشروع .. إنهم حلفاء الليل والظلام ، والويل لمن يسلمه الليل إلى واحد منهم .

أسلم أبو ذر من فوره .. وكان ترتيبه فى المسلمين الخامس أو السادس فهو أسلم

فى الأيام الأولى وحين أسلم كان الرسول يهمس بالدعوة همسًا .

فور إسلامه توجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، بهذا السؤال : يا رسول الله، بم تأمرنى .. ؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم ، "ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمرى" فقال أبو ذر ، والذى نفسى بيده لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام فى المسجد ..!! ودخل المسجد الحرام ونادى بأعلى صوته : "أشهد ألا إله إلا الله .. وأشهد أن محمدًا رسول الله" .

كانت هذه أول صيحة بالإسلام تحت كبرياء قريش .. صاحبها رجل غريب ليس له بمكة حسب ولا نسب .. لكنه لاقى ما لاقى .. فقد أحاط به المشركون وضربوه حتى صرعوه ...

وعلم العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، بالخبر ، فجاء يسعى ، وما استطاع أن ينقذه من أنيابهم إلا بالحيلة الذكية فقد قال لهم : "يا معشر قريش أنتم تجار وطريقكم على غفار ، وهذا رجل من رجالها ، إن يُحرّض قومه عليكم يقطعوا على قوافلكم الطريق" .. فثابوا إلى رشدهم وتركوه ولكن أبا ذر قد ذاق حلاوة الأذى فى سبيل الله ، ففى اليوم الثانى بل ربما فى نفس اليوم .. يلقى امرأتين تطوفان بالصنمين "أساف – ونائلة" وتدعوانهما حتى يقف عليهما ويسفّه الصنمين تسفيهًا مهينًا ، فتصرخ المرأتان ويهرول الرجال ثم يضربونه حتى يفقد وعيه ، وحين يفيق يصرخ مرة أخرى بأنه "يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله".

ويأمره الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالعودة إلى قومه حتى إذا سمع بظهور الدين عاد وأدلى فى مجرى الأحداث دلوه ..

ويعود "أبو ذر" إلى عشيرته وقومه فيحدثهم عن النبى الذى ظهر يدعو إلى عبادة الله وحده ، ويدخل قومه فى الإسلام واحدًا إثر واحد ولا يكتفى بقبيلته "غفار" بل ينتقل إلى قبيلة "أسلم" فيوقد فيها مصابيحه ..!! ومع الأيام يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة ويستقر بها .. وذات يوم يأتى صفوفًا طويلة

من المشاه والركبان، أثارت أقدامهم الغبار ، ولولا تكبيراتهم الصادعة لحسبهم الرائى جيشًا مغيرًا من جيوش الشرك .

لقد كان الموكب قبيلتى غفار وأسلم ، جاء بهما أبو ذر مسلمين جميعًا رجالًا ونساءً وشيوخًا وشبابًا وأطفالًا ..!!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معبرًا فى دهشة : "إن الله يهدى من يشاء" ونظر إلى قبيلة "غفار" وقال : "غفار غفر الله لها" .. ثم إلى قبيلة "أسلم" وقال : "أسلم سالمها الله" .

أما أبو ذر .. هذا الداعية الرائع قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء ، أصدق لهجة من أبى ذر" !! لقد لخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستقبل صاحبه فى هذه الكلمات فالصدق هو جوهر حياة أبى ذر كلها .. صدق باطنه ، وصدق ظاهره ، وصدق عقيدته ، وصدق لهجته ، ولسوف يحيا حياته صادقًا لا يغالط نفسه ، ولا غيره ولا يسمح لأحد أن يغالطه .

ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومًا هذا السؤال :

"يا أبا ذر ، كيف أنت إذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيء" ؟؟ فأجاب قائلًا : "إذًا والذى بعثك بالحق لأضربن بسيفى" !! فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، "أفلا أدلك على خير من ذلك.. ؟؟ اصبر حتى تلقانى" ولسوف يحفظ أبو ذر وصية معلمه ورسوله ولكنه لن يسكت عنهم لحظة من نهار ، إن أبا ذر لم يكن يضايقه شىء فى حياته مثلما يضايقه استغلال السلطة واحتكار الثروة .

وتستمر الفتوحات فى مداها ويعلو معها من الرغبات والتطلع إلى مناعم الحياة وترفها ويرى أبو ذر الخطر ..

إن السلطة التى هى مسئولية ترتعد من هول حساب الله تتحول إلى سبيل للسيطرة وللثراء وللترف المدمر ...

خرج أبو ذر إلى الأغنياء .. إلى جميع الذين أصبحوا يشكلون خطرًا على الدين الذى جاء هاديًا .. خرج إلى معاقل السلطة والثروة يغزوها بمعارضته يردد هذه الكلمات والناس يرددون معه : "بشر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار ، تكوى بها جباهم وجنوبهم يوم القيامة" !! لقد صارت هذه العبارات علمًا على رسالة أبى ذر التى نذر لها حياته ، حين رأى الثروات تتركز وتحتكر .. وحين رأى السلطة استعلاء واستغلال، وحين رأى حب الدنيا يطغى على كل ما صنعته سنوات الرسالة العظمى من جمال ، وورع وتفان وإخلاص لقد بدأ بالشام حيث معاوية بن أبى سفيان ، يحكم أرضًا من أكثر بلاد الإسلام خصوبة وخيرًا وفيئًا ، وإنه ليعطى الأموال ويوزعها بغير حساب .. يتألف بها الناس الذين لهم حظ ومكانة ويؤمن بها مستقبله ..

لقد حسر زعيم المعارضة رداءه المتواضع عن ساقيه ، وذهب إلى الشام ، ولم يكن الناس يسمعون بمقدمه حتى استقبلوه فى حماسة وشوق والتفوا حوله أينما ذهب ، ويلقى أبو ذر على الجموع حوله نظرات فاحصة ، فيرى أكثرها ذوى خصاصة وفقر .. ثم يرنو ببصره نحو المشارف القريبة فيرى القصور والضياع .. ثم يصرخ فى الحافين حوله قائلًا : "عجبت لمن لا يجد القوت فى بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه" .

ثم يذكر من فوره وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يصنع الأناة مكان الإنقلاب والكلمة الشجاعة مكان السيف ، فيترك لغة الحرب هذه ويعود إلى لغة المنطق والإقناع ، لقد قرر أن يخلق بكلماته وشجاعته رأيًا عامًّا فى كل بلاد الإسلام ، وفى أيام قلائل كانت الشام كلها كخلايا نحل وجدت ملكتها المطاعة ، لقد وقف أبو ذر أصدق العالمين لهجة ، كما وصفه نبيه ، وقف يسائل معاوية فى غير خوف عن ثرواته قبل أن يصبح حاكمًا ، وعن ثروته اليوم ..!! عن البيت الذى كان يسكنه بمكة وعن قصوره بالشام اليوم ، ثم يوجه السؤال للجالسين حوله والذين صار لبعضهم ضياع وقصور ثم يصيح فيهم : أفأنتم الذين نزل القرآن على الرسول وهو

بين ظهرانيهم ، ويقول الإجابة عنهم : نعم أنتم الذين نزل فيكم القرآن وشهدتم مع الرسول المشاهد .. ثم يعود ويسأل ألم تجدون فى كتاب الله هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، ويتابع أبو ذر القول ناصحًا معاوية ومن معه أن يخرجوا عن كل ما بأيديهم من ضياع وقصور وأموال ، وألا يدخر أحدهم لنفسه أكثر من حاجات يومه .

ويستشعر معاوية الخطر ويكتب للخليفة عثمان رضى الله عنه يقول له : "إن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام" .

ويكتب عثمان لأبى ذر يستدعيه إلى المدينة .. ويسافر إلى المدينة تاركًا الشام فى يوم لم تشهد دمشق مثله ، يومًا من أيام الحفاوة والوداع.

"لا حاجة لى فى دنياكم" .. !!

هكذا قال أبو ذر للخليفة عثمان بعد أن وصل إلى المدينة وجرى بينهما حوار طويل . ثم عرض عثمان رضى الله عنه قراره على أبى ذر عرضًا رفيقًا فقال له : "ابقَ هنا بجانبى تغدو عليك اللقاح وتروح" .

ثم طلب من الخليفة عثمان رضى الله عنه ، أن يأذن له بالخروج إلى "الربذة" فأذن له .. وعاش أبو ذر ما استطاع حاملًا لواء القدوة العظمى للرسول صلى الله عليه وسلم ، وصاحبيه أمينًا عليها حارسًا لها .

والآن .. يعالج "أبو ذر" سكرات الموت فى الربذة" .

مشهد الختام :

إن هذه السيدة السمراء الضامرة الجالسة إلى جواره تبكى هى زوجته وإنه ليسألها : فيم البكاء والموت حق .. ؟

فتجيبه بأنها تبكى : "لأنك تموت وليس عندى ثوب يسعك كفنا" ..!!

فيبتسم ابتسامة الشفق الغارب ويقول لها : "اطمئنى .. لا تبكى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم وأنا عنده فى نفر من أصحابه يقول : "ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين .. وكل من كان معى فى ذلك المجلس مات فى جماعة وقربه ، ولم يبق منهم غيرى، وها أنذا بالفلاة أموت .. فراقبى الطريق .. فستطلع علينا عصابة أى جماعة من المؤمنين ، فإنى والله ما كذبت ولا كذبت وفاضت روحه إلى الله ...

ولقد صدق فهذه القافلة التى تسير فى الصحراء تؤلف جماعة من المؤمنين وعلى رأسهم "عبدالله بن مسعود" صاحب رسول الله ..

ولا يكاد يلقى نظرة على الجسمان حتى تقع عينه على وجه صاحبه وأخيه فى الله والإسلام أبى ذر ..

وتفيض عيناه بالدمع ويقف على جثمانه الطاهره يقول : "صدق رسول الله ، تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبعث وحدك" ...!!

وكان ذلك فى غزوة تبوك عندما تأخر عن القافلة بسبب ضعف بعيره ، حتى إنه تركها وأخذ حمله على ظهره ، وأخذ يجدّ فى السير ، كى يلحق بالمسلمين .. حتى لحقهم .. ولما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجد فى السير تألفت على وجهه ابتسامة حانية وآسية وقال : "يرحم الله أبا ذر .. يمشى وحده .. ويموت وحده .. ويبعث وحده .."

وبعد مضى عشرين عامًا على هذا اليوم أو يزيد ، مات أبو ذر وحيدًا فى فلاة الربذة ، بعد أن عاش حياته كلها وحيدًا فى عظمة زهده .. وبطولة صموده ..

ولسوف يبعث عند الله وحيدًا كذلك؛ لأن زحام فضائله لن تترك بجانبه مكانًا لأحد سواه ..

بلال بن رباح

مؤذن الرسول

هذا الرجل الشديد السمرة النحيف ، المفرط الطول ، كان "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه ، إذا ذكر "أبو بكر" قال : "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا" يعنى بلال.. وإن رجلًا يلقبه عمر بـ سيدنا لهو رجل عظيم ومحظوظ ..

إن سواد بشرته ، وتواضع حسبه ونسبه ، وهوانه على الناس كعبد رقيق لم يحرجه حين آثر الإسلام دينًا من أن يتبوأ المكان الرفيع الذى يؤهله له صدقه ، ويقينه ، وطهره ، وتفانيه ..

إنه حبشى جعلته مقاديره عبدًا لأُناس من بنى جُمح بمكة حيث كانت أمه إحدى إمائهم وجواريهم ...

وذات يوم يبصر "بلال بن رباح" نور الله ويسمع فى أعماق روحه الخيرة رنينه ، فيذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسلم .. ولا يلبث خبر إسلامه أن يذيع .. تدور الأرض برءوس أسياده من بنى جمح ، تلك الرءوس التى نفخها الكبر وأثقلها الغرور، ولقد أُخذ ووضع عريانًا فوق الجمر على أن يزيغ عن دينه، أو يزيف اقتناعه .. فأبى .. لقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، من هذا العبد الحبشى المستضعف أستاذًا للبشرية كلها فى فن احترام الضمير والدفاع عن حريته وسيادته .

لقد كانوا يخرجون به فى الظهيرة التى تتحول الصحراء فيها إلى جهنم قاتلة ، فيطرحونه على حصاها الملتهب وهو عريان ، ثم يأتون بحجر متسعر كالحميم ينقله من مكانه بضعة رجال ، يلقون به فوق جسده وصدره .. ويتكرر هذا العذاب

الوحشى كل يوم حتى رقت لـ بلال من هول عذابه بعض قلوب جلاديه فخلوا سبيله على أن يذكر آلهتهم بالخير ولو بكلمة واحدة تحفظ لهم كبرياءهم ولكن حتى هذه الكلمة الواحدة العابرة رفض بلال أن يقولها ..!

وصار يردد : "أحد - أحد"

ويصيح به جلادوه ، بل ويتوسلون إليه قائلين : اذكر اللات والعزى .. فيجيبهم " أحد – أحد " .

ويظل بلال فى هذا الحميم حتى إذا حان الأصيل أقاموا وجعلوا فى عنقه حبلًا ثم أمروا صبيانهم أن يطوفوا به جبال مكة وشوارعها وبلال لا يلهج لسانه بغير نشيده المقدس " أحد – أحد " . ويلكزه أمية بن خلف وينفجر غمًا و غيظًا ويصيح أى شؤم رمانا بك يا عبد السوء ؟ واللات والعزى لأجعلنك للعبيد والسادة مثلًا .. ويجيب بلال فى يقين المؤمن .. "أحد – أحد" .

ويجىء الغداة وتقترب الظهيرة ويؤخذ بلال إلى الرمضاء وهو صابر محتسب صامد ثابت ..

ويذهب إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وهم يعذبونه ، ويصيح بهم "أتقتلون رجلًا أن يقول ربى الله" ؟

ثم يصيح فى أمية بن خلف : خذ أكثر من ثمنه واتركه حرًّا .. وكأنما كان أمية يغرق وأدركه زورق النجاة ، إذ كان اليأس من تطويع بلال قد بلغ فى نفوسهم أشده ، أو لأنهم كانوا من التجار فقد أدركوا أن بيعه أربح لهم من موته .. باعوه لأبى بكر الذى حرره من فوره ، وأخذ بلال مكانة بين الرجال الأحرار .

وحين كان الصديق يتأبط ذراع بلال قال له أمية بن خلف – خذه فواللات والعزى ، لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية واحدة لبعته لك بها .

ولكن أبو بكر أجاب أمية قائلًا : والله لو أبيتم إلا مائة أوقية لدفعتها ..

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين إلى المدينة وقع اختيار

الرسول صلى الله عليه وسلم ، على بلال ليكون أول مؤذن للإسلام وتصدع عبر الأفق تكبيراته وتهليلاته ، وبصوته الندى الشجى مضى يملأ الأفئدة إيمانًا .

وينشب القتال بين المسلمين وجيش قريش الذى قدم المدينة غازيًا .. وتدور الحرب عنيفة قاسية ضارية .. وبلال هناك يصول ويجول فى أول غزوة يخوضها الإسلام "غزوة بدر" تلك الغزوة التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يكون شعارها "أحد – أحد" .

وحين بدأ القتال بين الفريقين وارتج جانب المعركة من قبل المسلمين بشعارهم "أحد – أحد" .. انخلع قلب أمية بن خلف وجاءه النذير إن الكلمة التى كان يرددها بلال بالأمس تحت وقع العذاب والهول قد صارت اليوم شعار دين بأسره وشعار الأمة الجديدة كلها "أحد – أحد" .. هكذا وبهذه السرعة .

وبينما المعركة تقترب من نهايتها ، أبصر بلال أمية بن خلف الذى لم يترك فى جسده موضع أنملة إلا ويحمل آثار تعذيبه ، فصاح بلال قائلًا : رأس الكفر أمية بن خلف .. لا نجوت إن نجا .. يا أنصار الله .. رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا وأقبلت كوكبة من المسلمين وأحاطت بأمية وابنه وكان قد احتمى بـ عبد الرحمن بن عوف وطلب إليه أن يكون أسيره ولكن لم يستطع عبد الرحمن بن عوف أن يصنع له شيئًا وهوى أمية تحت السيوف القاصفة وألقى بلال نظرة على جثمانه ثم هرول مسرعًا وصوته الندى يصيح : أحد – أحد ..

وتمضى الأيام وتفتح مكة ويدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكعبة مصطحبًا معه بلال .. ويأمره صلى الله عليه وسلم ، أن يعلو ظهر المسجد ويؤذن .. ويؤذن بلال ..

فيا روعة الزمان .. والمكان ... والمناسبة

وعاش بلال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشهد معه المشاهد كلها ويؤذن للصلاة ، ويحمى شعائر هذا الدين العظيم الذى أخرجه من الظلمات إلى النور ومن

الرق إلى الحرية ..

وكان بلال يزداد كل يوم قربًا من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان يصفه أنه رجل من أهل الجنة .

بقى بلال كما هو كريمًا متواضعًا ، لا يرى نفسه إلا أنه الحبشى الذى كان بالأمس عبدًا ..!!

ذهب يوما يخطب لنفسه ولأخيه زوجتين فقال لأبيهما : "أنا بلال ، وهذا أخى ، عبدان من الحبشة ، كنا ضالين فهدانا الله .. وكنا عبدين فأعتقنا الله .. إن تزوجونا فالحمد لله .. وإن تمنعونا ، فالله أكبر ...

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو راضٍ عنه ، وذهب بلال إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستأذنه فى الخروج للمرابطة فى سبيل الله ، قال له أبو بكر رضى الله عنه : ومن يؤذن لنا ..؟ قال بلال وعيناه تفيضان من الدمع: إنى لا أُؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر رضى الله عنه : بل ابق وأذن لنا .. قال بلال : إن كنت أعتقتنى لأكون لك فليكن ما تريد ، وإن كنت أعتقتنى لله فدعنى وما أعتقتنى له قال أبو بكر رضى الله عنه: بل أعتقتك لله يا بلال..

وكان بلال سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: "أفضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله " .

ويختلف الرواة ، فيروى بعضهم أنه سافر إلى الشام حيث بقى مجاهدًا مرابطًا ، ويروى بعضهم الآخر ، أنه قبل رجاء أبى بكر فى أن يبقى معه بالمدينة ، فلما توفى وولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، استأذنه وخرج إلى الشام.

على أية حال ، فقد نذر بلال بقية حياته وعمره للمرابطة فى ثغور الإسلام مصممًا على أن يلقى الله ورسوله وهو على خير عمل يحبانه .

ولم يعد يصدح بالأذان صوته الشجى ، ذلك أنه لم يكن ينطق فى أذانه :"أشهد أن محمدًا رسول الله ، حتى تجيش به الذكريات فيختفى صوته تحت وقع أساه وتصيح بالكلمات دموعه وعبراته ، وكان آخر أذان له ، أيام زار الشام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وتوسل المسلمون إليه أن يحمل بلالًا على أن يؤذن لهم صلاة واحدة ، ودعى أمير المؤمنين بلالًا وقد حان وقت الصلاة ، ورجاه أن يؤذن لها ، وصعد بلالًا وأذن .. فبكى الصحابة الذين كانوا أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال يؤذن له ..

ومات بلال فى الشام مرابطًا فى سبيل الله كما أراد.

وتحت ثرى دمشق يُثوى اليوم .

رجل من أعظم رجال البشر صلابة فى الوقوف إلى جانب العقيدة والاقتناع .

عبدالله بن عمر

المثابر ، الأواب

هذا الرجل العظيم .. الرجل الصالح الذى عاش فوق الثمانين عامًا ، والذى بدأت علاقته بالإسلام وبالرسول ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، حين صحب أباه إلى غزوة بدر راجيًا أن يكون له بين المجاهدين مكان .. لولا أن رده الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصغر سنه ..

من ذلك اليوم ، بل وقبل ذلك اليوم حين صحب أباه فى هجرته إلى المدينة .. بدأت صلة الغلام ذى الرجولة المبكرة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالإسلام..

ومن ذلك اليوم إلى اليوم الذى لقى فيه ربه بالغًا من العمر خمسة وثمانين عامًا ، سنجد فيه حيثما نلقاه ، المثابر الأواب الذى لا ينحرف عن نهجه قيد شعرة.

إن المزايا التى تأخذ الأبصار إلى عبدالله بن عمر لكثيرة

فعلمه ، وتواضعه ، واستقامة ضميره ، وجوده ، وورعه ، ومثابرته على العبادة ، وصدق استمساكه بالقدوة ...

كل هذه الفضائل والخصال صاغ ابن عمر منها وبها شخصيته الفذة وحياته الطاهرة الصادقة ..

لقد تعلم من أبيه "عمر بن الخطاب" خيرًا كثيرًا وتعلم مع أبيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الخير كله والعظمة كلها .. وكانت متابعته خطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمرًا يبهر الألباب .. فهو ينظر ، ماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يفعل فى كل أمر ، هنا مثلًا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يصلى ، فيصلى ابن عمر فى ذات المكان .. وهنا كان الرسول يدعو قائمًا ، فيدعو ابن عمر قائمًا .. وهنا كان صلى الله عليه وسلم ، يدعو جالسًا ، فيدعو ابن عمر جالسًا ..

وهنا ، وعلى هذا الطريق نزل الرسول يومًا من فوق ظهر ناقته وصلى ركعتين ، فيصنع ابن عمر ذلك .. بل إنه يذكر أن ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دارت به دورتين فى هذا المكان بمكة قبل أن ينزل الرسول من فوق ظهرها ويصلى ركعتين ، وقد تكون الناقة فعلت ذلك تلقائيًا لتهيئ لنفسها مناخها ، لكن ابن عمر لا يكاد يبلغ هذا المكان يومًا حتى يدور بناقته ثم ينيخها ثم يصلى ركعتين لله .. تمامًا كما رأى المشهد من قبل مع رسول الله ..!! قالت عنه أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : "ما كان أحد يتبع أثار النبى صلى الله عليه وسلم ، فى منازله ، كما كان يتبعه ابن عمر ، ولقد قضى عمره الطويل المبارك على هذا الولاء الوثيق ..

لقد جاء على المسلمين زمان كان صالحهم يدعو يقول : "اللهم ابقِ عبدالله بن عمر ما أبقيتنى كى أقتدى به ، فإنى لا أعلم أحدًا على الأمر الأول غيره" .

وبقوة هذا التحرى الشديد الوثيق لخطى الرسول وسنته ، كان ابن عمر يتهيب الحديث عن رسول الله ، ولا يروى عنه حديثًا إلا إذا كان ذاكرًا كل حروفه حرفًا حرفًا ..

وقد قال معاصروه : "لم يكن من أصحاب رسول الله أحد أشد حذرًا من ألا يزيد فى حديث الرسول أو ينقص فيه ، من عبدالله بن عمر" ..

وكذلك كان شديد الحذر والتحوط فى الفتيا ..

كان يخاف أن يجتهد فى فتياه ، فيخطئ فى اجتهاده ، وعلى الرغم من أنه كان يحيا وفق تعاليم دين عظيم ، يجعل للمخطئ أجرًا ، وللمصيب أجرين فإن ورعه كان يسلبه الجسارة على الفتيا..

أما بالنسبة للقضاء فكانت وظيفة من أرفع مناصب الدولة والمجتمع وكانت تضمن لشاغلها ثراءً وجاهًا ومجدًا ، ولكن ابن عمر لا حاجة له بهذا كله .. لقد دعاه يومًا الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وطلب إليه أن يشغل منصب القضاء فاعتذر ، وألح عليه الخليفة ، وأصر على اعتذاره ، ولما سأله عثمان رضى الله

عنه : أتعصينى ؟ فأجاب ابن عمر " كلا .. ولكن بلغنى أن القضاء ثلاثة: قاضٍ يقضى بجهل ، فهو فى النار، وقاضٍ يقضى- بهوى ، فهو فى النار ، وقاضٍ يجتهد ويصيب فهو كفاف ، لا وزر ، ولا أجر .. وإنى لسائلك بالله أن تعفينى .. وأعفاه عثمان رضى الله عنه ، بعد أن أخذ عليه العهد ألا يخبر بهذا أحدًا ذلك أن عثمان رضى الله عنه يعلم مكانة ابن عمر فى أفئدة الناس وإنه ليخشى إذا عرف الأتقياء الصالحون عزوفه عن القضاء أن يتابعوه وينهجوا نهجه وعندئذ لا يجد الخليفة تقيًا يعمل قاضيًا .

فضائله :

لقد كان جوده وزهده ، وورعه ، تعمل معًا لتشكل أروع فضائل هذا الإنسان العظيم : فهو يعطى الكثير؛ لأنه جواد .. ويعطى الحلال الطيب؛ لأنه ورع .. ولا يبالى أن يتركه الجود فقيرًا ، لأنه زاهد وكان ابن عمر رضى الله عنه ، من ذوى الدخول الرغيدة الحسنة ، إذ كان تاجرًا أمينًا ناجحًا شطر حياته، وكان راتبه من بيت المال وفيرًا ولكنه لم يدخر هذا العطاء لنفسه قط ، إنما كان يرسله غدقًا على الفقراء والمساكين والسائلين ..

إن جود عبدالله بن عمر ، وزهده ، وورعه ، هذه الخصال الثلاثة ، كانت تحكى لدى ابن عمر صدق القدوة ..

فما كان لمن يمعن فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليقف بناقته حيث رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يومًا يقف بناقته ويقول :"لعل خفًّا يقع على خف" ..

ولقد عَمَّر ابن عمر طويلًا ، وعاش فى العصر الأموى الذى فاضت فيه الأموال وانتشرت الضياع وغطى البذخ أكثر الدور..

ومع هذا بقى ذلك الطود الجليل شامخًا ثابتًا ، لا يبرح نهجه ولا يتخلى عن ورعه وزهده ..

ولقد عرض على "ابن عمر" منصب الخلافة ولكنه أعرض عنها ، وهدد بالقتل إن لم يقبل ، فازداد رفضًا .. يقول الحسن البصرى رضى الله عنه : "لما قتل عثمان بن عفان ، قالوا لعبدالله بن عمر ، اخرج نبايع لك الناس فأبى ويلح الناس عليه كى يقبل منصب الخلافة ولكنه كان دائما يأبى ولقد عاش "عبدالله بن عمر" طويلًا ، وعاصر الأيام التى فتحت فيها أبواب الدنيا على المسلمين ، وفاضت الأموال ..

وفى العام الثالث والسبعين للهجرة ، مالت الشمس للمغيب ورفعت إحدى سفن الآبدية مراسيها ، مبحرة إلى العالم الآخر والرفيق الأعلى حاملة جثمان آخر ممثل لأيام الوحى .. فى مكة والمدينة ...

عبدالله بن عمر بن الخطاب

معاذ بن جبل

أعلمهم بالحلال والحرام

هو رجل من الأنصار ، بايع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم العقبة الثانية فصار من السابقين الأولين ..

أعظم خصائصه .. فقهه.

فقد بلغ من الفقه والعلم المدى الذى جعله أهلًا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عنه :"أعلم أمتى بالحلال والحرام ، معاذ بن جبل" وكان شبيه عمر بن الخطاب فى استنارة عقله ، وشجاعته ، وذكائه ، سأله الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين وجهه إلى اليمن "بم تقضى يا معاذ" ؟ فأجاب قائلًا :"بكتاب الله" .. قال الرسول : "فإن لم تجد فى كتاب الله ؟؟ قال معاذ : "أقضى بسنة رسوله" قال رسول الله : "فإن لم تجد فى سنة رسوله" ؟؟ قال معاذ : "أجتهد رأيى لا آلو".

فتهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : "الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله" .

يروى أحد أصحاب رسول الله أنه دخل يومًا المسجد فى أول خلافة عمر رضى الله عنه .. قال : فجلست مجلسًا فيه بضع وثلاثون كلهم يذكرون حديثًاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الحلقة شاب شديد الأدمة ، حلو المنطق وضىء ، وهو أشب القوم سنًّا ، فإذا اشتبه عليهم من الحديث شىء ردوه إليه فأفتاهم ، ولا يحدثهم إلا حين يسألونه ، ولما قضى مجلسهم دنوت منه وسألته : من أنت يا عبدالله ؟؟ قال : أنا معاذ بن جبل ويقول أبو مسلم الخولانى : دخلت مسجد حمص فإذا جماعة من الكهول يتوسطهم شاب براق الثنايا ، صامت لا يتكلم إلا إذا سألوه .. فقلت لجليس لى : من هذا ؟ قال : معاذ بن جبل ، فوقع فى نفسى حبه ..

ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشيره كثيرًا، وكان يقول فى بعض المواطن: "لولا معاذ بن جبل لهلك عمر" ..

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ باليمن منذ وجهه النبى صلى الله عليه وسلم ، إليها يعلم المسلمين ويفقههم فى الدين ..

ويهاجر بعد ذلك معاذ إلى الشام يعيش بين أهلها والوافدين عليها ، ومات أميرها أبو عبيدة بن الجراح الذى كان الصديق الحميم لمعاذ ، فاستخلفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام ، ولا يمضى عليه فى الإمارة سوى بضعة أشهر حتى يلقى ربه مخبتًا منيبًا ..

مات معاذ فى خلافة عمر بن الخطاب ، ولم يجاوز من العمر ثلاثًا وثلاثين سنة وفى سكرات الموت يحدق فى السماء مناجيًا ربه الرحيم ، يقول :"اللهم إنى كنت أخافك ، لكننى اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ونيل المزيد من العلم والإيمان والطاعة" ...

وبسط يمينه كأنه يصافح الموت ، وراح فى غيبوبته يقول : "مرحبًا بالموت .. حبيب جاء على فاقة، ومات معاذ بن حيل ...

سيد الشهداء

حمزة بن عبد المطلب

أسد الله ، وأسد رسوله

عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاعة.

كان حمزة يعرف عظمة ابن أخيه وكماله وكان على بينة من حقيقة أمره وجوهر خصاله .. فهو لا يعرفه معرفة العم بابن أخيه فحسب ، بل يعرفه معرفة الأخ والصديق ، ذلك أن الرسول وحمزة من جيل واحد ، وسن متقاربة ، نشأ معًا ولعبا معًا وتأخيا معًا ، وسار معًا على الدرب من أوله خطوة خطوة، إذن حمزة خير من يعرف محمدًا من طفولته الباكرة إلى شبابه الطاهر إلى رجولته الأمينة ، إنه يعرفه كما يعرف نفسه بل أكثر مما يعرف نفسه ، إنه يعرف أن حياة محمد كلها نقية كأشعة الشمس ، إن حمزة كان يتمتع بقوة الجسم ورجاحة العقل وقوة الإرادة، فكان من الطبيعى ألا يتخلف عن متابعة إنسان يعرف فيه كل الصدق وكل الأمانة ..

خرج حمزة من داره متوشحًا قوسه ليمارس هوايته المحببة – الصيد – ولما عاد من قنصه ذهب كعادته إلى الكعبة ليطوف فيها قبل أن يرجع إلى داره ، وقريبًا من الكعبة لقيته خادمة لـ عبدالله بن جُدعان قالت له :" يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبى الحكم بن هشام ، وجده هناك جالسًا فآذاه ، وسبه، وبلغ منه ما يكره ومضت تشرح له ما صنع ، انطلق حمزة فى خطى سريعة حازمة صوب الكعبة ووجد أبا جهل أبا الحكم بن هشام فى فنائها يتوسط نفرًا من سادة قريش ، وفى هدوء رهيب تقدم حمزة من أبى جهل ثم استل قوسه وهوى بها على رأس أبى جهل فشجه وأدماه وصاح حمزة فى أبى جهل : "أتشتم محمدًا ، وأنا على دينه أقول ما يقول ؟! ثم مد حمزة يمينه مرة أخرى إلى قوسه فثبتها فوق كتفه واستقل الطريق إلى داره فى خطواته الثابتة وحين عاد إلى بيته وذهب عنه متاعب يومه ، جلس يفكر كيف أعلن إسلامه .. ومتى ؟ لقد أعلنه فى لحظة من لحظات الحمية والغضب

والانفعال .. لقد ساءه أن يُساء ابن أخيه ويظلم دون أن يجد له ناصرًا ، فغضب له ، وأخذته الحمية لشرف بنى هاشم ، فشج رأس أبى جهل ، وصرخ فى وجهه بإسلامه ، ولكن هل هذا هو الطريق الأمثل لكى يغادر دين آبائه وقومه ؟ صحيح أنه لا يشك لحظة فى صدق "محمدًا" ونزاهة قصده ولكن أيمكن أن يستقبل امرؤ دينًا جديدًا بكل ما يفرضه من مسئوليات وتبعات فى لحظة غضب وحمية ..

وشرع حمزة يفكر وقضى أيامًا لا يهدأ له فيها خاطر ، وعجب حمزة كيف يتسنى لإنسان أن يغادر دين آبائه بهذه السهولة وهذه السرعة .. وندم على ما فعل .. ولكنه واصل رحلة العقل ولما رأى أن العقل وحده لا يكفى لجأ إلى الغيب بكل إخلاصه وصدقه وعند الكعبة كان يستقبل السماء ضارعًا ، مبتهلًا ، مستنجدًا بكل ما فى الكون من قدرة ونور ، كى يهتدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ويروى لنا بقية النبأ ويقول : "ثم أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشك فى أمر عظيم ، لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله أن يشرح صدرى للحق ، ويذهب عنى الريب ، فاستجاب الله لى ملأ قلبى يقينًا وعدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بما كان من أمرى ، فدعا الله أن يثبت قلبى على دينه..

وهكذا أسلم "حمزة" إسلام اليقين ...

أعز الله الإسلام بـ حمزة ووقف شامخًا يذود عن رسول الله وعن المستضعفين من أصحابه ، وكان إسلامه وقاية ودرعًا كما كان إغراء ناجحًا لكثير من القبائل.

ومنذ أسلم "حمزة" نذر نفسه وكل عافيته وبأسه وحياته لله ولدينه حتى خلع النبى صلى الله عليه وسلم ، عليه هذا اللقب العظيم "أسد الله ، وأسد رسوله" ..

وأول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لـ "حمزة" فى غزوة "بدر" الذى كان هناك يصنع الأعاجيب ..

وجاءت غزوة أحد .. والتقى الجمعان .. وتوسط "حمزة" أرض القتال مرتديًا لباس الحرب ، وراح يصول ويجول وعلى صدره ريشة النعام التى تعود أن يزين بها

صدره فى القتال ، ومضى يضرب المشركين وكأن المنايا طوع أمره وأخذ يضرب عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه وكان هناك من يرقبه ويتحين الفرصة الغادرة ليوجه إليه ضربته...

إنه "وحشى" كان عبدًا لـ جُبير بن مُطعم ، وكان عم جبير قد لقى مصرعه يوم بدر فقال له جُبير : اخرج مع الناس وإن أنت قتلت حمزة فأنت عتيق ، ثم أحالوه إلى هند بنت عتبة" زوجة أبى سفيان لتزيده تحريضًا ودفعًا إلى الهدف الذى يريدون فكانت "هند" قد فقدت فى معركة "بدر" أباها ، وعمها ، وأخاها ، وابنها وقيل لها إن "حمزة" هو الذى قتل بعض هؤلاء ، وأجهز على البعض الآخر ، فكانت أكثر القرشيات تحريضًا على الخروج للحرب ، لا لشىء إلا لتظفر برأس "حمزة" مهما يكن الثمن ..

ولقد وعدت "وحشيًّا" إن هو نجح فى قتل "حمزة" بأثمن ما تملكه المرأة من متاع وزينه ، فلقد مسكت بقرطها اللؤلؤ الثمين وقلادتها الذهبية التى تزدحم حول عنقها ثم قالت : كل هذا لك إن قتلت حمزة !!! .. وسال لعاب وحشى ، وطارت خواطره تواقة إلى المعركة التى سيربح فيها حريته فلا يصير عبدًا أو رقيقًا كما سيخرج منها بكل هذا الحلى الذى يزين عنق زعيمة نساء قريش وزوجة زعيمها وسيدها .. ولندع "وحشى" يصف لنا المشهد بكلماته "كنت رجلًا حبشيًّا ، أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فقلما أخطئ بها شيئًا فلما التقى الناس خرجت أنظر "حمزة" وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقف أمامه شىء ، فوالله إنى لأتهيأ له أريده ، وأستتر منه بشجرة لأتقدمه أو ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه "سباع بن عبد العزى" فلما رآه حمزة صاح به : هلم إلى ثم ضربه ضربة فما أخطأ رأسه ، عندئذ هززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه حتى خرجت من بين رجليه ونهض نحوى فغلب على أمره ثم مات .

هكذا أسقط أسد الله وأسد رسوله ، شهيدًا مجيدًا ولم يكتف أعداؤه بمقتله ، بل

أمرت هند بنت عتبة "وحشيًّا" أن يأتيها بكبد "حمزة" واستجاب الحبشى لهذه الرغبة المسعورة وعندما عاد بها إليها كان يناولها الكبد بيمناه ويتلقى منها قرطها وقلادتها بيسراه مكافأة له على إنجاز مهمته ..

ومضغت هند كبد "حمزة" راجية أن تشفى تلك الحماقة حقدها وغلها ، ولكن الكبد استعصت على أنيابها وأعجزها أن تسيغها فأخرجته من فمها ..

وانتهت المعركة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه معه إلى أرض المعركة لينظر شهداءها ، وهناك فى بطن الوادى إذ هو يتفحص وجوه أصحابه الذين باعوا لله أنفسهم ، وقف فجأة .. ونظر فوجم وضغط على أسنانه ، وأسبل جفنه ، فما كان يتصور قط أن يهبط الخُلق العربى إلى هذه الوحشية البشعة فيمثل بجثمان ميت على الصورة التى رأى فيها جثمان عمه الشهيد المجيد "حمزة بن عبد المطلب" أسد الله وسيد الشهداء ..

وفتح الرسول عينه وقال وعيناه على جثمان عمه : " لن أُصابَ بمثلك أبدًا ، وما وقفت موقفًا قط أغيظ إلىّ من موقفى هذا " ..

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يحبه أعظم الحب فهو لم يكن عمه الحبيب فحسب ، بل كان أخاه من الرضاعه ، وصديق الطفولة ، وصديق العمر كله وفى لحظات الوداع هذه لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحية يودعه بها خير من أن يصلى عليه بعدد شهداء المعركة جميعًا ..

وهكذا حُمل جثمان "حمزة" إلى مكان الصلاة على أرض المعركة التى شهدت بلاءه واحتضنت دماءه ، فصلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم جىء بشهيد آخر فوضع إلى جوار حمزة وصلى عليهما الرسول ، وهكذا جىء بالشهداء شهيد بعد شهيد ، والرسول يصلى على كل منهم وعلى حمزة معه حتى صلى على عمه سبعين صلاة ولقد ذهب أصحاب الرسول يتبارون فى رثاء "حمزة"

وتمجيد مناقبه العظمى فقال حسان بن ثابت ، وقال عبدالله بن رواحة ، وقالت صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة وغيرهم على أن خير رثاء عطر ذكراه كانت كلمات الرسول له حين وقف على جثمانه ساعة رآه بين شهداء المعركة وقال : " رحمة الله عليك ، فإنك كنت – ما علمت – وصولًا للرحم، فعولًا للخيرات" ...

رحم الله سيد الشهداء..

يا عم رسول الله بحب رسول الله نُحبك

يا آل رسول الله بحب رسول الله نُحبكم

ويا آل بيت رسول الله بتعظيم رسول الله نعظمكم

ويا آل بيت رسول الله بتوقيرنا لرسول الله نوقركم ....

جعفر بن أبى طالب
طائر الجنة

أشبه الناس بالرسول خَلْقًا وخُلِقًا

أشبه الناس بالرسول خلقًا وخُلقًا ...

انظروا جلال شبابه ، وحلمه ، وبره ، وتواضعه ، وتقاه ، وشجاعته التى لا تعرف الخوف ، وجوده الذى لايخاف الفقر وطهره ، وعفته ، وصدقه ، وأمانته ، انظروا فيه كل رائعة من روائع الحسن والفضيلة والعظمة ثم لا تعجبوا ..

فأنتم أمام أشبه الناس بالرسول خلقًا وخُلقًا ..

أنتم أمام من كناه الرسول بـ "أبى المساكين" .. أنتم أمام من لقبه الرسول بـ "ذى الجناحين" .. أنتم أمام "طائر الجنة" "جعفر بن أبى طالب" عظيم من عظماء الرعيل الأول الذين أسهموا أعظم إسهام فى صوغ ضمير الحياة ..

ابن عم رسول الله، أقبل عليه مسلمًا وأخذ مكانه العالى بين المؤمنين المبكرين وأسلمت معه فى نفس اليوم زوجته "أسماء بنت عُميس" وحملا نصيبهما من الأذى والاضطهاد وفى شجاعة وغبطة هاجر إلى الحبشة هو وزوجته حيث لبثا بها سنين عددا رزقا خلالها بأولاده الثلاثة – محمد – عبدالله – وعوف ، وفى الحبشة كان "جعفر بن أبى طالب" المتحدث اللبق الموفق باسم الإسلام ورسوله ..

إن من أروع أيامه وأمجدها وأخلدها كان يوم المحاورة التى أجراها أمام "النجاشى" بالحبشة ، لقد كان يومًا فذًّا ومشهدًا عجيبًا ، وذلك أن قريشًا لم يهدئ من ثورتها هجرة المسلمين إلى الحبشة ، لقد خشيت أن يقوى هناك بأسهم ويتكاثر جمعهم بل قد عز على كبريائها أن ينجو هؤلاء من نقمتها ويفلتوا من قبضتها ، هناك قرر سادتها إرسال مبعوثين إلى "النجاشى" يحملان هدايا قريش النفيسة ، ويحملان رجاءها أن يخرج من بلاده هؤلاء الذين جاءوا إليها لائذين ومستجيرين وكان

هذان المبعوثان هما : عمرو بن العاص ، عبدالله بن أبى ربيعة ، وكانا لم يسلما بعد ..

كان "النجاشى" الذى يجلس على عرش الحبشة رجلًا يحمل إيمانًا مستنيرًا وكان فى قرارة نفسه يعتنق مسيحية صافية واعية بعيدة عن الانحراف ، وكان ذكره يسبقه، وسيرته العادلة تنشر عبيرها فى كل مكان تبلغه ، من أجل هذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم ، بلاده دار هجرة لأصحابه ...

وصلا الرسولان إلى الحبشة وقابلا بها الزعماء الروحانيين ونثرا بين أيديهم الهدايا التى حملاها إليهم ثم أرسلا للنجاشى هداياه ، ومضيا يملأن صدور القسس والأساقفة ضد المسلمين المهاجرين ، ويستنجدان بهما لحمل النجاشى على إخراجهم من بلاده ، وحدد يوم يلقيان فيه النجاشى وفى وقار مهيب ، وتواضع جليل جلس النجاشى على كرسيه العالى تحف به الأساقفه ورجال الحاشية وجلس أمامه فى البهو الفسيح المسلمون المهاجرون تغشاهم سكينة الله وتظلهم رحمته، ووقف مبعوثا قريش يكرران الكلام الذى سبق أن رددا أمام النجاشى حين أذن لهم بمقابلة خاصة قبل هذا الاجتماع الحاشد الكبير قالوا : أيها الملك .. إنه قد جاء إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، بل جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، ولى النجاشى وجهه شطر المسلمين ملقيًا عليهم سؤاله ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، واستغنيتم عن ديننا ؟ .. فنهض جعفر بن أبى طالب وقال :

"يا أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، فصدقناه

وآمنا به واتبعناه على ما جاءه من ربه، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئًا ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وإلى ما كنا عليه فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك ... هذه الكلمات الرائعة ملأت نفس النجاشى إحساسًا وروعة والتفت إلى جعفر وسأله "هل معك مما أُنزل على رسولكم شىء ؟ قال جعفر : نعم .. قال النجاشى فاقرأه على ومضى جعفر يتلو آيات من سورة مريم فى أداء عذب وخشوع آسر فبكى النجاشى ، وبكى معه الأساقفة جميعًا ولما كفكف دموعه الغزيرة التفت إلى مبعوثى قريش وقال : "إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحده انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما" ..

انفض الجمع ولكن عمرو بن العاص كان واسع الحيلة لا يتجرع الهزيمة ولا يزعن لليأس فقد ذهب يدبر مكيدة جديدة تضعهم أى المسلمين بين شقى الرحى قال عمرو : والله لأخبرن الملك أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد كبقية العباد فإن هم قالوا هذا حركوا ضدهم أضغان الملك والأساقفة وإن هم نفوا عنه البشرية خرجوا من دينهم ، وفى الغداة ذهب لمقابلة الملك قائلًا له : إنهم ليقولون فى عيسى قولًا عظيمًا واضطرب الأساقفة واهتاجتهم هذه العبارة القصيرة ونادوا بدعوة المسلمين مرة أخرى لسؤالهم عن موقف دينهم من المسيح ، وعلم المسلمون بالمؤامرة الجديدة وانعقد الاجتماع وبدأ النجاشى الحديث سائلًا جعفر ماذا تقول فى عيسى ؟؟

ونهض جعفر للمناورة وقال : "نقول فيه ما جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم ، هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه".

فهتف النجاشى مصدقًا ومعلنًا أن هذا هو ما قاله المسيح عن نفسه وقال للمسلمين : اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى ومن سبكم أو آذاكم فعليه غرم ما يفعل"..

ثم التفت إلى مبعوثى قريش وقال : "ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لى بها" ..

أما المسلمون فعاشوا حياتهم بالحبشة فى خير دار مع خير جار وأُذن لهم بعد ذلك فى العودة إلى المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحتفل مع المسلمين بفتح خيبر حين طلع عليهم قادمًا من الحبشة جعفر ومعه من كان من المهاجرين وفرح الرسول بمقدمه وعانقه وهو يقول : "لا أدرى بأيهما أنا أُسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر" ..

وجاءت غزوة مؤتة ورأى جعفر فى هذه الغزوة فرصة العمر فإما أن يحقق فيها نصرًا كبيرًا لدين الله ، وإما أن يظفر باستشهاد عظيم فى سبيل الله وتقدم من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجوه أن يجعل له فى هذه الغزوة مكانًا ، وخرج الجيش وجعفر معه ، والتقى الجمعان فى يوم رهيب وكانت الراية مع زيد بن حارثة فما كادت توشك على السقوط من يمين زيد حين استشهد حتى تلقاها جعفر باليمين ومضى يقاتل بها فى إقدام خارق وتكاثر عليه وحوله مقاتلة الروم ورأى فرسه تعوق حركته فنزل عنها وراح يقاتل فى شجاعة منقطعة النظير .. ولمح واحدًا من الأعداء يقترب من فرسه ليعلو ظهره فعز عليه ذلك فعقرها وانطلق وسط صفوف الروم المتكالبة عليه يدمدم كالإعصار وأدرك مقاتلو الروم مقدرة هذا الرجل الذى يقاتل وكأنه جيش لجب وأحاطوا به فى إصرار مجنون على قتله وضربوا بالسيوف يمينه وقبل أن تسقط الراية منها على الأرض تلقاها بشماله وضربوها هى الأخرى فاحتضن الراية بعضديه فى هذه اللحظة تركزت كل مسئوليته فى ألا يدع راية رسول الله صلى الله عليه وسلم تلامس التراب وهو حى .. وحين سقطت جثته الطاهرة كانت الراية مغروسة بين عضدى جثمانه..

وجاء عبدالله بن رواحة فشق الصفوف كالسهم وأخذ الراية فى قوة وأنبأ العليم الخبير رسوله بمصير المعركة وبمصير جعفر فاستودعه الله وبكى وقام إلى بيت ابن عمه ، ودعا بأطفاله وبنيه فتشممهم وقبّلهم وذرفت عيناه ثم عاد إلى مجلسه وأصحابه حافون به ووقف شاعر الإسلام حسان بن ثابت يرثى جعفر رضى الله عنه "أبا المساكين" ..

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد رأيته فى الجنة له جناحان مضرجان بالدماء .. مصبوغ القوادم" ..

سلام ثم سلام عليك يا جعفر...

عبدالله بن عباس

حَبرُ الأمة

هو ابن عم النبى عبدالله بن عباس.

أبوه : العباس "عم النبى".

لقبه : الحبرْ – حبرْ هذه الأمة ، هيأه لهذا اللقب ولهذه المنزلة استنارة عقله ، وذكاء قلبه ، واتساع معارفه ، لقد عرف ابن عباس طريق حياته فى أوليات أيامه وازداد بها معرفة عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدنيه منه وهو طفل ويربت على كتفه ويدعو له قائلًا : "اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل" .. ثم توالت المناسبات والفرص التى يكرر فيها الرسول هذا الدعاء ذاته لابن عمه "عبدالله بن عباس" وآنئذ أدرك ابن عباس أنه خُلق للعلم وللمعرفة وكان استعداده العقلى يدفعه فى هذا الطريق دفعًا قويًّا فعلى الرغم من أنه لم يكن قد جاوز الثالثة عشرة من عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يضيع من طفولته الواعية يومًا دون أن يشهد مجالس الرسول ويحفظ عنه ما يقول ..

وبعد ذهاب الرسول إلى الرفيق الأعلى حرص ابن عباس على أن يتعلم من أصحاب الرسول ما فاته سماعه وتعلمه من الرسول نفسه وكان فى كل يوم تنمو معارفه ، وتنمو حكمته ، حتى توفرت له فى شبابه حكمة الشيوخ وحصافتهم ، وحتى كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يحرص على مشورته فى كل أمر كبير وكان يلقبه بـ "فتى الكهول" ولما سئل أنى أصبت هذا العلم ؟؟ فأجاب "بلسان سئول وقلب عقول" ويقول عنه سعد بن أبى وقاص : ما رأيت أحدًا أحضر فهما ولا أكبر لبًّا ولا أكثر علمًا ولا أوسع حلمًا من ابن عباس ..

وقال عنه عبيدالله بن عتبة : ما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم من ابن عباس ولا رأيت أحدًا أعلم بقضاء أبى بكر ، وعمر وعثمان منه ولا أفقه فى رأى منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير للقرآن ولا بحساب وفريضة منه ..

ولقد كان يجلس يومًا للفقه ، ويومًا للتأويل ، ويومًا للمغازى ويومًا للشعر ، ويومًا لأيام العرب وأخبارها ، وما رأيت عالمًا جلس إليه إلا خضع له ، ولا سائلًا سأله إلا وجد عنده علمًا إنه هو العابد القانت الأواب ، كان يقوم من الليل ، ويصوم من الأيام وكان كثير البكاء كلما صلى ، وكلما قرأ القرآن وهو إلى جانب هذا شجاع ، أمين ، حصيف ، وهو يؤثر السلام على الحرب ، والرفق على العنف ..

عاش ابن عباس يملأ دنياه علمًا وحكمة وينشر بين الناس عبيره وتقواه ...

وفى عامه الحادى والسبعين دعى للقاء ربه العظيم وشهدت مدينة الطائف مشهدًا حافلًا لمؤمن .. يزف إلى الجنان.

سلام ثم سلام عليك يا ابن عم رسول الله .....

الزبير بن العوام

حوارى رسول الله

لا يجيء ذكر الزبير إلا ويذكر طلحة بن عبيدالله معه ، ولا يجيء ذكر طلحة إلا ويذكر الزبير معه ، فحين كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤاخى بين أصحابه فى مكة قبل الهجرة ، آخى بين طلحة والزبير وطالما كان عليه الصلاة والسلام يتحدث عنهما معًا مثل قوله : "طلحة والزبير جاراى فى الجنة" ..

والزبير أمه السيدة صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أيضًا من العشرة المبشرين بالجنة ومن أصحاب الشورى الستة الذين وكّل إليهم عمر بن الخطاب أمر اختيار الخليفة من بعده .. ولقد أسلم الزبير مبكرًا ، كان واحدًا من السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام وأسهموا مع طليعته المباركة فى دار الأرقم وكان عمره يومئذ خمس عشرة سنة ، وهكذا رزق الهدى والنور والخير صبيًّا، ولقد كان فارسًا ومقدامًا منذ صباه ...

هاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية ثم عاد وشاهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تفتقده غزوة ولا معركة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يباهى به ويقول : "إن لكل نبى حواريًّا وحوارى الزبير بن العوام"..

ذلك أنه لم يكن ابن عمته فحسب ، أو زوج "أسماء بنت أبى بكر" ذات النطاقين بل كان ذلك الوفى القوى الشجاع الأبىّ والجواد السخىّ ، أو البائع نفسه وماله لله رب العالمين ..

وفى يوم معركة الجمل طعنه القاتل الغادر وهو بين يدى ربه يصلى ، ثم ذهب القاتل إلى الإمام علىّ يظن أنه يحمل إليه بشرى حين يسمعه نبأ عدوانه على الزبير ..

لكن عليًّا صاح حين علم أن بالباب قاتل الزبير يستأذن ، صاح آمرًا بطرده قائلًا: "بشر قاتل ابن صفية بالنار" وحين أدخلوا عليه سيف الزبير ، قبله الإمام وأمعن فى البكاء وهو يقول :"سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله.

سلام على الزبير فى مماته بعد محياه...

سلام ، ثم سلام على حوارى رسول الله .....

طلحة بن عبيدالله

صقر يوم أحد

"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا" ..

تلا الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذه الآية الكريمة ، ثم استقبل وجوه أصحابه وقال وهو يشير إلى "طلحة" :"من سرّه أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه ، فلينظر إلى طلحة لقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فماذا كانت حياة هذا المبشر الكريم ؟

لقد كان فى تجارة له بأرض بُصرى حين لقى راهبًا من خيار رهبانها وأنبأه أن النبى الذى سيخرج من بلاد الحرم والذى تنبأ به الأنبياء قد أهل عصره وأشرقت أيامه ، وحذر طلحة أن يفوته موكبه فإنه موكب الهدى ، والرحمة ، والخلاص ، وحين عاد "طلحة " إلى بلده مكة ألفى بين أهلها ضجيجًا وسمعهم يتحدثون كلما التقى بأحدهم عن "محمد الأمين" وعن الوحى الذى يأتيه ، وعن الرسالة التى يحملها إلى العرب خاصة وإلى الناس كافة .. وسأل طلحة عن أبى بكر فعلم أنه عاد من تجارته وأنه يقف إلى جوار محمد مؤمنًا أوابًا ، وأسرع طلحة إلى دار أبى بكر ولم يطل بينهما الحديث فقد كان شوقه إلى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومبايعته أسرع من دقات قلبه ، فصحبه أبو بكر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أسلم وأخذ مكانه بين المسلمين المبكرين ، وعلى الرغم من جاهه فى قومه وثرواته العريضة وتجارته الناجحة ، فقد حمل حظه من اضطهاد قريش ، وهاجر طلحة إلى المدينة حين أمر المسلمون بالهجرة ، ثم شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، عدا غزوة بدر فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد ندبه ومعه سعيد بن زيد لمهمة خارج المدينة ، ولما أنجزاها ورجعا إلى المدينة كان الرسول صلى الله عليه

وسلم ، وأصحابه عائدين من غزوة بدر ، فألم نفسيهما أن يفوتهما أجر المشاركة بالجهاد فى أولى غزواته ، بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أهدى إليهما طمأنينة سابغة حين أنبأهما أن لهما من المثوبة والأجر مثل ما للمقاتلين تمامًا ، بل وقسم لهما من غنائم المعركة مثل من شهدها .. وتجىء غزوة أحد لتشهد كل جبروت قريش ، جاءت لتثأر ليوم "بدر" ودارت حرب طاحنة ، وأبصر طلحة جانب المعركة الذى يقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أن الرسول قد صار هدفًا لقوى الشرك ، فسارع نحوه وقطع طريق الهول فى قفزة أو قفزتين وأمام الرسول وجد ما يخشاه ، سيوف المشركين تلهث نحوه ، وتحيط به تريد أن تناله بسوء ، ووقف طلحة يضرب بسيفه يمينًا وشمالاً ورأى دم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينزف وآلامه تئن فساندة وحمله بعيدًا عن الحفرة التى زالت فيها قدمه ..

كان يساند الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيسراه وبصدره متأخرًا به إلى مكان آمن ، بينما يمناه تضرب بالسيف وتقاتل المشركين الذين أحاطوا بالرسول وملئوا دائرة القتال مثل الجراد ..

وجاء أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم "دونكم أخاكم" ونظروا إلى طلحة وإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وإذا إصبعه مقطوعة ، فأصلحا من شأنه.

كان طلحة رضى الله عنه من أكثر المسلمين ثراءً وأنماهم ثروة وكانت ثروته كلها فى خدمة الدين ..

لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بـ "طلحة الخير" و "طلحة الجواد" و"طلحة الفياض" إطراءً لجوده المفيض ..

لقد كانت الشهادة من حظ طلحة يدركها وتدركه أيان يكون قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، :"هذا ممن قضى نحبه ومن سرّه أن يرى شهيدًا يمشى على الأرض ، فلينظر إلى طلحة" ..

لقد رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته وصلى عليه علىّ بن أبى طالب وكذلك الزبير بن العوام ..

وقف على بن أبى طالب يودعهما بكلمات جليلة اختتمها قائلًا :"إنى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم : "ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخوانًا على سرر متقابلين" ...

ثم ضم قبريهما بنظراته الحانية الصافية الآسية وقال : "سمعت أذناى هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : "طلحة والزبير جاراى فى الجنة" ...

سعد بن أبى وقاص

الأسد فى براثنه

اسمه : سعد بن مالك الزهرى

أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، كان إسلامه مبكرًا ، وإنه ليتحدث عن نفسه فيقول :"ولقد أتى علىّ يوم ، وإنى لثلث الإسلام" يعنى أنه كان ثالث أول ثلاثة سارعوا إلى الإسلام ..

قدم يوم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو بين أصحابه فحياه وداعبه صلى الله عليه وسلم قائلًا :"هذا خالى .. فليرنى امرؤ خاله" .. هذا سعد بن أبى وقاص، جده أهيب بن مناف ، عم السيدة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن لـ سعد بن أبى وقاص أمجاد كثيرة يستطع أن يباهى بها ويفخر ولكنه لم يتغن بمزاياه تلك إلا بشيئين عظيمين أولهما : أنه أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأول من رُّمىّ أيضًا ..

وثانيهما : أنه الوحيد الذى افتداه الرسول بأبويه فقال له يوم غزوة أُحد :"ارم سعد .. فداك أبى وأمى" أجل إنه كان دائما يتغنى بهاتين النعمتين الجزيلتين ويلهج بشكر الله عليهما وكان سعد يعد من أشجع فرسان العرب والمسلمين وكان له سلاحان ، رمحه ، ودعاؤه ، إذا رمى فى الحرب عدوًا أصابه وإذا دعا الله دعاءً أجابه!! وهذا يرجع إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، له ، فذات يوم وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، منه ما سره وقر عينه ، دعا له هذه الدعوة المأثورة "اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته" ..

وهكذا عُرف بين إخوانه وأصحابه بأن دعوته كالسيف القاطع ، وعرف هو ذلك عن نفسه ، فلم يكن يدعو على أحد إلا مفوضًا إلى الله أمره يروى عامر بن

سعد فيقول : رأى سعد رجلًا يسب عليًّا وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته ، فقال لـه : اذن أدعو عليك ، فقال الرجل أراك تهددنى كأنك نبى ..!! فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال : اللهم إن كنت تعلم أن هـذا الرجـل قـد سـب أقوامًا سبقت لهم منك الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم ، فاجعله آية وعبرة .

فلم يمضِ غير وقت قصير حتى خرجت من إحدى الدور ناقة لا يردهـا شـىء حتى دخلت فى زحام الناس ، كأنها تبحث عن شىء ثم اقتحمـت الرجـل فأخذتـه بين قوائمها ، وما زالت تتخبطه حتـى مـات، إن هـذه الظـاهرة تُنبـئ عـن شـفافية روحه، وصدق يقينه ، وعمق إخلاصه ، وكـان دائـب الاسـتعانة عـلى دعـم تقـواه باللقمة الحلال فهو يرفض فى إصرار عظيم كل درهم فيه أثارة من شبهة ..

ذات يوم والنبى صلى الله عليه وسلم ، جالس مع أصحابه ، رنا بصره إلى الأفـق فى إصغاء من يتلقى همسًا وسرًّا ، ثم نظر فى وجوه أصحابه وقال لهم :"يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة" وأخذ الأصحاب يتلفتون صوب كـل اتجـاه وبعـد حـين طلع عليهم سعد بن أبى وقاص ..

وقد لاذ به فيما بعد "عبدالله بن عمرو بن العـاص سـائلًا إيـاه أن يدلـه عـلى مـا يتقرب به إلى الله من عبادة وعمل ، جعله أهلًا لهذه المثوبة وهذه البشرى ، فقـال لـه سعد: لا شىء أكثر مما نعمل جميعًا ونعبد ، غير أنـى لا أحمـل لأحـد مـن المسـلمين ضغنًا ولا سوءًا" هذا هو "الأسد فى براثنه" كما وصفه عبد الرحمن بن عوف ، وهذا هو الرجل الذى اختاره عمر بن الخطاب ليوم القادسية العظيم ..

كانت كل مزاياه تتألق أمام بصيرة أمير المؤمنين وهو يختاره لأصعب مهمة تواجه الإسلام والمسلمين ..

خرج إليه الفرس فى أكثر من مائة ألف من المقاتلين المدربين المدججين بأخطر ما كانت تعرفه الأرض من عتاد وسلاح ، تقودهم أذكى عقول الحرب يومئذ وأدهـى دهائها ، أما سعد فخرج فى ثلاثين ألف مقاتل لا غير ، فى أيديهم رماح، مجرد رماح،

ولكن فى قلوبهم إرادة الدين الجديد بكل ما تمثله من إيمان ، وعنفوان وشوق نادر وباهر إلى الموت ، وإلى الشهادة !!

وقف ينظر نصائح أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" وتوجيهاته وها هو ذا كتاب "عمر" إليه يأمره فيه بالمبادرة إلى القادسية فإنها باب فارس ، ويلقى على قلبه كلمات كلها نور وهدى قال عمر : يا سعد بن وهب .. لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحبه ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم ، وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر ثم يقول له : اكتب إلىّ بجميع أحوالكم ، وكيف تنزلون ؟ وأين يكون عدوكم منكم ، واجعلنى بكتابك إلىّ كأنى أنظر إليكم ...

وينزل سعد القادسية ، ويتجمع الفرس جيشًا وشعبًا كما لم يجتمعوا من قبل ، ويتولى قيادة الفرس أشهر وأخطر قوادهم "رستم" ، ويكتب سعد إلى "عمر" يخبره بكل التفاصيل وأن "رستم" قد عسكر "ساباط" وجر الخيل والفيلة وزحف علينا، ويجيبه "عمر" مطمئنًا ومشيرًا ، ويكتب سعد إلى "عمر" كل يوم كتابًا يتبادل فيه معه المشورة والرأى وينفذ "سعد" وصية "عمر" فيرسل إلى "رستم" قائد الفرس نفرًا من أصحابه يدعونه إلى الله وإلى الإسلام وبعد حوار طويل يعود الوفد إلى قائد المسلمين "سعد" ليخبروه أنها الحرب ..

وفى هذا اليوم كان سعد مريض وكان مرضه قد اشتد عليه وملأت الدمامل جسده حتى ما كان يستطيع أن يجلس ، ولكن هب "الأسد فى براثنه" ووقف فى جيشه خطيبًا ، مستهلًا خطابه بالآية الكريمة : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ وبعد فراغه من الخطبة صلى بالجيش صلاة الظهر، ثم استقبل جنوده مكبرًا أربعًا: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

وصاح فى جنوده: هيا على بركة الله...

وصعد هو متحاملًا على نفسه وآلامه شرفة الدار التى كان ينزل بها ، ويتخذها مركزًا لقيادته ، وفى الشرفة جلس متكئًا على صدره فوق وسادة ، وباب داره مفتوح وأقل هجوم من الفرس على الدار يسقطه فى أيديهم حيًّا أو ميتًا ولكنه لا يرهب ولا يخاف ..

جروحه تنبح وتنزف ولكنه عنها فى شغل ، فهو فى الشرفة يكبر ، ويصيح ، ويصدر أوامره لهؤلاء أن تقدموا صوب الميمنة ولأولئك أن سدوا ثغرات الميسرة.. أمامك يا مغيرة .. ورائهم ياجرير .. اضرب يا نعمان ... اهجم يا أشعث .. وأنت يا قعقاع .. تقدموا يا أصحاب محمد ، وكان صوته المفعم بقوة العزم والأمل يجعل من كل جندى جيشًا بأسره وتهاوى جنود الفرس كالذباب المترنح ، وطارت فلولهم المهزومة بعد أن رأوا مصرع قائدهم ، وطاردهم جيش المسلمين حتى "نهاوند" ، ثم "المدائن" فدخلوها ليحملوا إيوان كسرى وتاجه غنيمة وفيئًا ...

وكانت موقعة المدائن بعد موقعة القادسية بقرابة عامين جرت خلالها مناوشات مستمرة بين الفرس والمسلمين ، وكان بين جيش المسلمين وبين المدائن "نهر دجلة" وكان فى موسم الفيضان ومع ذلك أصدر "سعد" أمره إلى الجيش بعبور "نهر دجلة" وعندئذ جهز كتيبتين الأولى سماها كتيبة الأهوال وأمَّر عليها " عاصم بن عمرو" والثانية أسماها " الكتيبة الخرساء " وأمَّر عليها القعقاع بن عمرو وكان عليهم أن يخوضوا الأهوال لكى يفسحوا على الضفة الأخرى مكانًا آمنًا للجيش العابر على أثرهم ، ولقد أدوا عملهم بمهارة مذهلة ، واقتحم الجيش النهر أفواجًا لم يخسروا جنديًا واحدًا ، وتصف لنا إحدى الروايات التاريخية ، روعة المشهد وهم يعبرون "نهر دجلة" فتقول : أمر سعد المسلمين أن يقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم اقتحم بفرسه النهر ، واقتحم الناس وراءه لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملئوا ما بين الجانبين ولم يعد وجه الماء

يرى من أفواج الفرسان والمشاة ، وجعل الناس يتحدثون وهم يسيرون على وجه الماء وكأنهم على وجه الأرض ، وذلك بسبب ما شعروا به من الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله ونصره ووعده وتأييده ..

ويوم ولى "عمر" "سعدًا" إمارة العراق راح يبنى للناس ويُعمّر وبنى الكوفة وأرسى قواعد الإسلام فى البلاد الواسعة وها هو الآن وقد جاوز الثمانين من عمره نتذكر مزاياه ...

إنه مستجاب الدعوة ، وأنه خال الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه واحد من أهل الجنة كما تنبأ له الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه الفارس يوم غزوة بدر ، وفارس يوم غزوة أُحد والفارس فى كل مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخرى لا ينساها "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه ولا يغفل عن أهميتها وقيمتها تلك هى "صلابة إيمانه" يوم أسلم واتبع الرسول .. فقد لجأت أمه إلى وسيلة لكى ترده إلى وثنية أهله وذويه ، لقد أعلنت أمه صومها عن الطعام والشراب حتى يعود "سعد" إلى دين آبائه وقومه ومضت فى تصميم مستميت تواصل إضرابها عن الطعام والشراب حتى أشرفت على الهلاك كل ذلك وسعد لا يبالى ، ولا يبيع إيمانه ودينه بشىء حتى لو كان هذا الشىء حياة أمه ، وحين كانت تشرف على الموت ، أخذه بعض أهله إليها ليلقى عليها نظرة وداع آملين أن يرق قلبه حين يراها فى سكرة الموت ، وذهب سعد ورأى مشهد يذيب الصخر ، ولكن إيمانه بالله وبرسوله كان قد تفوق على كل صخر فاقترب بوجهه من وجه أمه وصاح بها لتسمعه "تعلمين والله يا أُمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت دينى هذا لشىء فكلى إن شئت ، أو لا تأكلى" ..

وعدلت أمه عن عزمها ، ونزل الوحى يحيى موقف سعد ويؤيده فيقول: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾.

أليس هو : الأسد فى براثنه

والآن .. وفى يوم من أيام العام الرابع والخمسين للهجرة وقد جاوز "سعد بن أبى وقاص" الثمانين من عمره ... كان هناك فى داره بالعقيق يتهيأ للقاء ربه وفوق أعناق الرجال حُمل إلى المدينة جثمان آخر المهاجرين وفاة ، ليأخذ مكانه فى سلام إلى جوار ثلة طاهرة عظيمة من رفاقه الذين سبقوه إلى الله ...

وذلك فى تراب البقيع وثراه...

وداعًا سعد ... وداعًا بطل القادسية ... وداعًا فاتح المدائن .... وداعًا مطفئ النار المعبودة فى فارس إلى الأبد ...

وداعًا سعد بن أبى وقاص ....

وداعًا خال رسول الله .....

أبو عبيدة بن الجراح

"أمين هذه الأمة"

من هذا الذى أمسك الرسول بيمينه وقال عنه : "إن لكل أمة أمينًا ، وإن أمين هذه الأمة أبو عُبيدة بن الجراح" .. من هذا الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم ، فى غزوة ذات السلاسل مددًا لـ عمرو بن العاص وجعله أميرًا على جيش فيه أبو بكر ، وعمر ؟ .. من هذا الصحابى الذى كان أول من لقب بـ "أمير الأمراء"؟ .. من هذا الطويل القامة ، النحيف الجسم ، المعروق الوجه ، الخفيف اللحية ، الأثرم[1] ، ساقط الثنيتين .. ؟؟

أجل من هذا القوى الأمين الذى قال عنه عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه: "لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفته فإن سألنى ربى عنه قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله .. إنه أبو عبيدة .. "عامر بن عبدالله بن الجراح"

أسلم على يد أبى بكر الصديق فى الأيام الأولى للإسلام وهاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ، ثم عاد منها ليقف إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى غزوة بدر وغزوة أُحد ، وبقية المشاهد جميعها ، ثم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى صحبة خليفته أبى بكر ثم فى صحبة عمر بن الخطاب نابذًا الدنيا وراء ظهره مستقبلًا تبعات دينه فى زهد ، وتقوى ، وصمود ، وأمانة ..

منذ أن بسط يمينه مبايعًا رسوله ، وهو لا يرى فى نفسه وفى أيامه ، وفى حياته كلها سوى أمانة استودعه الله إياها لينفقها فى سبيله وفى مرضاته ، فلا يجرى وراء حظ من حظوظ نفسه ، ولما وفّى أبو عبيدة بالعهد الذى وفّى به بقية الأصحاب ، رأى رسول الله ، فى مسلك ضميره ، ومسلك حياته ما جعله أهلًا لهذا اللقب الكريم الذى أفاءه عليه وأهداه إليه فقال عليه الصلاة والسلام: "أمين هذه الأمة

---

(١) الأثرم : الأهتم

أبو عبيدة بن الجراح" .

ففى غزوة أحد أحس من سير المعركة حرص المشركين على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتفق مع نفسه على أن يظل قريبًا من رسول الله ، ومضى يضرب بسيفه الأمين مثله ، فى جيش الوثنية الذى جاء باغيًا وعاديًا يريد أن يطفئ نور الله ...

وما أجمل أن نترك الحديث لأبى بكر الصديق يصف لنا هذا المشهد بكلماته .. "لما كان يوم أحد ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى دخلت فى وجنتيه الشريفة حلقتان من حلق المغفر، أقبلت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيرانًا ، فقلت اللهم اجعله طاعة ، وإذا هو أبو عبيدة بن الجراح" قد سبقنى فقال : أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركنى فأنزعها من وجهه رسول الله ، فتركه ، فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتى المغفر فنزعها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته معه ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى فسقطت فكان أبو عبيدة فى الناس أثرم !! أي أهتم.

وفى غزوة الخَبَط أرسله النبى صلى الله عليه وسلم ، أميرًا على ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا من المقاتلين وليس معهم من زاد سوى جراب تمر ، والمهمة صعبة ، والسفر بعيد ، لكن أبو عبيدة استقبل واجبه فى تفان وغبطة وراح هو وجنوده يقطعون الأرض ، وزاد كل واحد منهم طوال يومه حفنة تمر ، حتى إذا أوشك التمر أن ينتهى يهبط نصيب كل واحد إلى تمرة فى اليوم ، حتى إذا فرغ التمر راحوا يتصيدون " الخَبَط " أى ورق الشجر فكانوا يسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء، ومن أجل هذا سميت هذه الغزوة "غزوة الخَبَط " ، لقد مضوا لا يبالون بجوع ولا حرمان ولا يعنيهم إلا أن ينجزوا مع أميرهم المهمة الجليلة التى اختارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، لقد أحب النبى صلى الله عليه وسلم ، "أمين الأمة أبا عبيدة كثيرًا وآثره كثيرًا ، ويوم جاءه وفد نجران من اليمن مسلمين ،

وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم القرآن والسنة والإسلام قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، :"لأبعثن معكم رجلًا أمينًا ، حق أمين .. حق أمين .. حق أمين" وسمع الصحابة هذا الثناء فتمنى كل منهم أن يكون هو الذى يقع عليه الاختيار فتصير هذه الشهادة الصادقة من حظه ونصيبه ..

يقول "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه : ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى صلاة الظهر فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة فدعاه فقال : "اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه فذهب بها أبو عبيدة" .

وكما عاش أبو عبيدة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمينًا عاش بعد وفاته أمينا ، يحمل مسئولياته فى أمانة تكفى أهل الأرض لو اغترفوا منها جميعًا .

وعندما كان خالد بن الوليد يقود جيوش الإسلام فى إحدى المعارك الفاصلة الكبرى ، استهل أمير المؤمنين "عمر" عهده بتولية أبى عبيدة مكان خالد ، لم يكد أبو عبيدة يستقبل مبعوث "عمر" بهذا الأمر الجديد حتى استكتمه الخبر وكتمه هو فى نفسه طاويًا عليه صدر زاهدٍ فطنٍ أمينٍ، حتى أتم القائد "خالد" فتحه العظيم وآنئذ تقدم إليه فى أدب جليل بكتاب أمير المؤمنين ، ويسأله "خالد" يرحمك الله أبا عبيدة ، ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب ؟؟ فيجيبه أمين الأمة :"إنى كرهت أن أكسِر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا نريد ، ولا للدنيا نعمل ، كلنا فى الله إخوة" !!!

ويصبح أبو عبيدة أمير الأمراء بالشام ، ويصير تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولًا وعرضًا ، عتادًا وعددًا ..

ويزور أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه ، الشام ويسأل مستقبليه أين أخى ؟؟ فيقولون : من ؟ فيجيبهم : أبو عبيدة بن الجراح ويأتى أبو عبيدة

فيعانقه أمير المؤمنين "عمر" ثم يصحبه إلى داره فلا يجد فيها من الأثاث شيئًا إلا سيفه وترسه ، ورحله ، ويسأله عمر وهو يبتسم : ألا اتخذت لنفسك مثلما يصنع الناس فيجيبه "أبو عبيدة" : يا أمير المؤمنين هذا يبلغنى المقيل ..!!

وذات يوم وأمير المؤمنين عمر الفاروق فى المدينة جاءه الناعى أن قد مات "أبوعبيدة" وأسبل الفاروق جفنيه على عينين غُصتا بالدموع ، وفاض الدمع ، ففتح عينيه فى استسلام وترحم على صاحبه واستعاد ذكرياته معه فى حنان صابر ..

ومات أمين الأمة فوق الأرض التى طهرها من وثنية الفرس واضطهاد الروم ، ودفن تحت ثرى الأردن ..

حياك الله أمين الأمة

حياك الله أبا عبيدة .... وحيا الله دينًا أنجبك ورسولًا علمك ...

مسلم من قريش ، لا أقل ولا أكثر

الدين : الإسلام .... والقبيلة : قريش

هذه لا غير هويته .....

زيد بن ثابت

"جامع القرآن"

إذا حملت "المصحف" بيمينك ، واستقبلته بوجهك ، ومضيت فى روضاته اليانعات سورة سورة ، وآية آية فاعلم أن من بين الذين يدينونك بالشكر والعرفان على هذا الصنيع العظيم ، رجل كبير اسمه "زيد بن ثابت" ..

وحين تنثر زهور التكريم على ذكرى المباركين الذين يرجع إليهم فضل جمع القرآن وترتيبه وحفظه فإن حظ "زيد بن ثابت" من تلك الزهور ، لحظ عظيم ..

هو أنصارى من المدينة ، أسلم وهو صبى صغير ، وبورك بدعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان عمره إحدى عشرة سنة يوم أن قدم الرسول صلى الله عليه وسلم ، المدينة ..

صحبه آباؤه معهم إلى غزوة بدر ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، رده لصغر سنه وجسمه ..

وفى غزوة أُحد كان هناك ستة أشبال منهم زيد بن ثابت ، وعبدالله بن عمر ، راحوا يبذلون جهدهم لكى يُجندوا فى هذه الغزوة ، تارة بالرجاء وتارة بالدمع ، وتارة باستعراض عضلاتهم ، ولكن أعمارهم كانت باكرة ، وأجسامهم صغيرة ، فوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالغزوة المقبلة وبدأ زيد بن ثابت مع إخوانه دوره كمقاتل فى سبيل الله بدءًا من غزوة الخندق ..

كانت شخصيته المسلمة المؤمنه تنمو نموًّا سريعًا وباهرًا فهو لم يبرع كمجاهد فحسب ، بل مثقف متنوع المزايا ، فهو يتابع القرآن حفظًا ، ويكتب الوحى لرسول الله ، ويتفوق فى العلم والحكمة ، وحين يبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى إبلاغ دعوته للعالم الخارجى كله ، وإرسال كتبه لملوك الأرض وقياصرتها ، يأمر زيدًا أن

يتعلم بعض لغاتهم فيتعلمها فى وقت وجيز ، هكذا تألقت شخصية "زيد بن ثابت" وتبوأ فى المجتمع الجديد مكانًا عليًّا ، وصار موضع احترام المسلمين وتوقيرهم .. لقد توافد الحفاظ والكتبة على حفظ القرآن وتسجيله ، وكان على رأسهم "علىّ بن أبى طالب" ، وأُبىّ بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عباس رضى الله عنهم ، وصاحب الشخصية الجليلة التى نتحدث عنها الآن "زيد بن ثابت" رضى الله عنه ..

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، شغل المسلمون من فورهم بحروب الردة ، وفى معركة اليمامة كان عدد االشهداء من قراء القرآن وحفظته كبيرًا ومثيرًا ، فما كادت نار الحرب تخبو وتنطفئ حتى فزع عمر بن الخطاب إلى الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، راغبًا إليه فى إلحاح أن يسارعوا إلى "جمع القرآن" ربما يدرك الموت والشهادة بقية القراء والحفاظ ..

واستخار الخليفة ربه .. وشاور صحبه ، ثم دعا "زيد بن ثابت" وقال له : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وأمره أن يبدأ بجمع القرآن مستعينًا بذوى الخبرة فى هذا الموضوع ، ونهض "زيد" بالعمل الذى توقف عليه مصير الإسلام كله كدين .

ومضى بجمع الآيات والسور من صدور الحفاظ ، ومن مواطنها المكتوبة ، ويقابل ، ويتحرى ، ويعارض ، حتى جمع القرآن مرتبًا ومنسقًا ، وقال "زيد" وهو يصور الصعوبة الكبرى التى شكلتها قداسة المهمة وجلالها ، يقول : والله ، لو كلفونى نقل جبل من مكانه لكان أهون على مما أمرونى به من "جمع القرآن" .

أجل .. فلأن يحمل "زيد" فوق كاهله جبلًا أرضى لنفسه من أن يخطئ أدنى خطأ فى نقل آية أو إتمام سورة ..

ولكن توفيق الله كان معه ، وكان معه كذلك وعد الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ... فنجح فى مهمته وأنجز على خير وجه مسئوليته وواجبه .

كانت هذه هى المرحلة الأولى فى جمع القرآن ..

وفى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمسلمون يواصلون فتوحاتهم وزحوفهم ، مبتعدين عن المدينة ، ومغتربين عنها فى تلك الأيام ، والإسلام يستقبل كل يوم أفواجًا تلو أفواج من الداخلين فيه ، ظهر جليًّا ما يمكن أن يُقضى إليه ، تعدد المصاحف من خطر ، حين بدأت الألسنة تختلف على القرآن حتى بين الصحابه الأقدمين والأولين ..

هنالك تقدم إلى الخليفة "عثمان بن عفان" فريق من الأصحاب على رأسهم "حُذيفة بن اليمان" مفسرين الضرورة التى تحتم توحيد المصحف ، واستخار الخليفة ربه ، وشاور صحبه وكما استنجد "أبوبكر الصديق" من قبل "بزيد بن ثابت" استنجد به "عثمان بن عفان" أيضًا فجمع "زيد" أصحابه وأعوانه ، وجاءوا بالمصاحف من بيت "حفصة بنت عمر" رضى الله عنها ، وكانت محفوظةُ لديها ، وباشر "زيد" وصحبه مهمتهم العظيمة الجليلة ، وكان كل الذين عاونوا "زيد" من كتاب الوحى ومن حفظة القرآن ..

والآن ونحن نقرأ القرآن العظيم ميسرًا ، أو نسمعه مرتلًا ، فإن الصعوبات الهائلة التى عاناها الذين اصطنعهم الله لجمعه وحفظه لا تخطر لنا على بال ، تمامًا مثل الأهوال التى كابدوها ، والأرواح التى بذلوها وهم يجاهدون فى سبيل الله ليقروا فوق الأرض دينًا قيمًا ..

وليبددوا ظلامها بنوره المبين .....

زيد بن حارثة

"حِبُّ رسول الله"

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يودع جيش الإسلام الذاهب لملاقاة الروم فى غزوة "مؤتة" ويعلن أسماء أمراء الجيش الثلاثة ، قائلًا :"عليكم "زيد بن حارثة .. فإن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب .. فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة" .

فمن هو "زيد بن حارثة" ؟

من هذا الذى حمل دون سواه لقب "الحِبّ" .. حِبّ رسول الله ؟

مظهره وشكله : كان كما وصفه الرواة والمؤرخون : "قصير ، آدم – أى أسمر – شديد الأدمة ، فى أنفه فطس".

أما نبأه ، فعظيم جد عظيم ..!!

أعد "حارثة أبو "زيد" الراحلة والمتاع لزوجته "سُعدى" التى كانت تزمع زيارة أهلها فى بنى مُعن .

وخرج "حارثة" يودع زوجته التى كانت تحمل بين يديها طفلها الصغير "زيد بن حارثة" ودعها ودموعه تسيل .. ووقف طويلًا مسمرًا فى مكانه حتى غابا عن بصره ، فأحس كأن قلبه رحل مع الراحلين ..!!! ، ومكثت "سُعدى" فى قومها ما شاء الله لها أن تمكث .. وذات يوم فوجئ الحى .. حى بنى مُعْن بإحدى القبائل المناوئة له تغير عليه وتنزل الهزيمة ببنى معن ، ثم تحمل فيما حملت من الأسرى ذلك الطفل اليفع "زيد بن حارثة" ، وعادت الأم إلى زوجها وحيدة ..

ولم يكد "حارثة" يعرف النبأ حتى خَرَّ صعقًا وحمل عصاه على كاهله ، ومضى يجوب الديار ، ويقطع الصحارى ، ويسائل القبائل التى أغارت على بنى مُعْن والتى

ذهبت بأسراها إلى سوق عكاظ ، وباعوا الأسرى ووقع الطفل "زيد" فى يد حكيم بن حزام ، الذى اشتراه ووهبه لـ عمته السيدة "خديجة" رضى الله عنها ، التى وهبته بدورها لزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى تقبله مسرورًا ، وأعتقه من فوره وراح يمنحه من نفسه العظيمة ، ومن قلبه الكبير كل عطف ورعاية ..

وفى أحد مواسم الحج ، التقى نفر من حى "حارثة" بزيد فى مكة ، ونقلوا إليه لوعة والديه ، وحملهم "زيد ، سلامه وحنانه وشوقه لأمه وأبيه وقال للحُجّاج من قومه : خبروا أبى أنى هنا مع أكرم والد" ولم يكد والد "زيد" يعلم مستقر ولده حتى ذهب إليه ومعه أخوه .. وفى مكة مضى يسألان عن "الأمين محمد" ولما لقياه قالا له "يا ابن عبد المطلب .. يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم ، تفكون العانى .. وتطعمون الأسير ، جئناك فى ولدنا فامنن علينا وأحسن فى فدائه " ..

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلم تعلق "زيد" به ، وكان فى نفس الوقت يُقّدر حق أبيه فيه .

هنالك قال لحارثه :"ادعوا زيدًا ، وخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء .. وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى فداء"...!!

وتهلل وجه "حارثة" الذى لم يكن يتوقع كل هذا السماح وقال : "لقد أنصفتنا ، وزدتنا على النّصَف" ..

ثم بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، إلى "زيد" ولما جاء سأله :"هل تعرف هؤلاء..؟؟ قال زيد : نعم ، هذا أبى .. وهذا عمى وأعاد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما قاله لـ حارثة .. وهنا قال زيد :"ما أنا بالذى أختار عليك أحدًا ، أنت الأب ، والعم" ونديت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدموع شاكرة وحانية ، ثم أمسك بيد "زيد" وخرج به إلى فناء الكعبة حيث قريش مجتمعة هناك ونادى :"اشهدوا أن زيدًا ابنى .. يرثنى وأرثه" وكاد قلب حارثة يطير من الفرح فابنه لم يعد حرًّا فحسب ، بل وابنًا للرجل الذى تسميه قريش "الصادق الأمين"

سليل بنى هاشم وموضع حفاوة مكة كلها .

تبنى الرسول ، زيدًا وصار لا يعرف فى مكة كلها إلا باسم "زيد بن محمد" .

زوّجه من زينب بنت جحش ابنة عمته صلى الله عليه وسلم ، ويبدوا أن زينب رضى الله عنها قبلت هذا الزواج تحت وطأة حيائها ، أن ترفض شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، أو ترغب بنفسها عن نفسه ، ولكن الحياة الزوجية أخذت تتعثر فانفصل "زيد عن "زينب" وحمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، مسئوليته تجاه هذا الزواج الذى انتهى بالانفصال ، فضمّ ابنة عمته إليه واختارها زوجه له بأمر الله تعالى قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ وهذه حكمة الله تعالى لكى يبطل التبنى الذى كان موجود آنذاك ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم "زيد" من "أم كلثوم بنت عقبة" وذهب الشائنون والمرجفون فى المدينة : كيف يتزوج "محمد" مطلقة ابنه "زيد" ؟

فأجابهم القرآن مفرقًا بين الأدعياء والأبناء .. بين التبنى والبنوة ، ومقررًا إلغاء عادة التبنى ، ومعلنًا قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وهكذا أعاد لزيد اسمه الأول :"زيد بن حارثة" .

وفى جمادى الأولى من العام الثامن الهجرى ، خرج جيش الإسلام إلى أرض "البلقاء" بالشام ، حتى إذا بلغوا تُخومها لقيتهم جيوش هرقل من الروم ومن القبائل المستعربة التى كانت تقطن الحدود .. ونزل جيش الروم فى مكان يُسمى "مشارف".

بينما نزل جيش الإسلام بجوار بلدة تسمى "مؤتة" حيث سميت الغزوة باسمها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدرك أهمية هذه الغزوة وخطرها ، فاختار لها ثلاثة من رهبان الليل وفرسان النهار ، ثلاثة من الذين باعوا لله أنفسهم فلم يعد لهم مطمع ولا أمنية إلا فى استشهاد عظيم يصافحون إثره رضوان الله تعالى ، ويطالعون وجهه الكريم ...

لقد أقدموا هؤلاء العظماء ولم يبالوا . وأمامهم قائدهم "زيد" حاملًا راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقتحمًا رماح العدو ونباله وسيوفه .

وعانق "زيد" مصيره واستشهد.

"زيد" الذى كان يبحث عن المضجع الذى ترسو عنده صفقته مع الله ..

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾.

لقد كانت خير تحية توجه لذكراه هو ورفقائه ، كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، :"لقد رُفعوا إلىّ فى الجنة" ...!!!

عبدالله بن رواحة

يا نفسُ ، إلا تُقتَلى تَموتى !!

كان عبدالله بن رواحة واحدًا من هؤلاء النقباء الذين وفدوا إلى مكة قادمين من المدينة لمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيعة العقبة الأولى ، وفدًا مكونًا من اثنى عشر نقيبًا من الأنصار ، الذين مهدت بيعتهم هذه الهجرة التى كانت بدورها منطلقًا رائعًا لدين الله: الإسلام ...

وعندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يبايع فى العام التالى ثلاثة وسبعين من الأنصار "أهل المدينة" بيعة العقبة الثانية ، كان "ابن رواحة" العظيم واحدًا من النقباء المبايعين ..

وبعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة واستقرارهم بها ، كان "عبدالله بن رواحة" من أكثر الأنصار عملًا لنصرة الدين ودعم بنائه .

وكان "ابن رواحة" رضى الله عنه ، كاتبًا فى بيئة لا عهد لها بالكتابة إلا يسيرًا .. وكان شاعرًا ، ينطلق الشعر من بين ثناياه عذبًا قويًّا .. ومنذ أسلم ، وضع مقدرته الشعرية فى خدمة الإسلام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب شعره ويستزيده منه .. وحين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطوف بالبيت فى عمرة القضاء كان "ابن رواحة" بين يديه ينشد :

يارب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وكان المسلمون يرددون أنشودته الجميلة.

وحين يُضطر الإسلام لخوض القتال دفاعًا عن نفسه ، يحمل "ابن رواحة" سيفه فى غزوة "بدر" و "أحد" و "الخندق" و "الحديبية" و "خيبر" جاعلًا شعاره هذه الكلمات من شعره :

"يا نفس إلا تقتلى تموتى"

وجاءت غزوة "مؤتة"

وكان "ابن رواحة" ثالث الأمراء ، كما أسلفنا فى الحديث عن "زيد" و "جعفر" .. وتحرك الجيش إلى مؤتة ، وحين استشرف المسلمون عدوهم من جيش الروم الذى كان عددهم مائتى ألف مقاتل .. إذ رأوا صفوفًا لا آخر لها ، ونظر المسلمون إلى عددهم القليل فقال بعضهم :"فلنبعث إلى رسول الله ، نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بالزحف فنطيع .. بيد أن "ابن رواحة" نهض وسط صفوفهم وقال لهم : يا قوم .. إنا والله ما نقاتل أعداءنا بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة .. ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ...

فانطلقوا .. فإنما هى إحدى الحسنيين .. النصر أو الشهادة ، هتف المسلمون ، قد والله ، صدق ابن رواحة.

ومضى الجيش إلى غايته ، والتقى الجيشان وسقط الأمير الأول "زيد بن حارثة" شهيدًا مجيدًا .. وتلاه الأمير الثانى "جعفر بن أبى طالب" حتى أدرك الشهادة فى غبطة وعظمة .. وتلاه ثالث الأمراء "عبدالله بن رواحة" وقد صار أميرًا للجيش ، فقد بدا أمام ضراوة الروم وكأنما مرت به لمسة تردد وتهيب ، ولكنه ما لبث أن استجاش كل قوى المخاطرة فى نفسه وصاح ...

أقسمت يا نفسُ لتنزلنه ... ما لى أراك تكرهين الجنة ؟؟

يانفسُ إلا تُقتلى تموتى ... هذا حِمَام الموتِ قد صَليت

وما تمنيت فقد أعطيت ... وإن تفعلى فعلهما هديت

وانطلق يعصف بالروم عصفًا .. ولكن ساعة الرحيل دقت معلنة بدء مسيرته إلى الله ، فصعد شهيدًا ..

وبينما كان القتال يدور فوق أرض البلقاء بالشام ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجلس مع أصحابه يحادثهم ويحادثونه وفجأة ، والحديث ماض ، صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم طوفت نظراته الآسية وجوه أصحابه وقال : "أخذ الراية "زيد بن حارث" فقاتل بها حتى قتل شهيدًا .. ثم أخذها "جعفر" فقاتل بها ، حتى قتل شهيدًا .. وصمت قليلًا ثم استأنف كلماته قائلًا : "ثم أخذها عبدالله بن رواحة" فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا" .. ثم صمت قليلًا ، وتألقت عيناه ، ثم قال: "لقد رُفِعوا إلىّ فى الجنة" ..

أية رحلة مجيدة كانت .. وأى اتفاق سعيد كان لقد خرجوا إلى الغزو معًا ، وصعدوا إلى الجنة معًا ....!!

عبدالله بن مسعود

أول صادح بالقرآن

هو من الأوائل المبكرين إلى الإسلام ، فكان سادس ستة أسلموا واتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ولقد تحدث عن أول لقاء له برسول الله فقال :"كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لـ عقبة بن أبى معيط فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، فقالا : يا غلام ، هل عندك من لبن تسقينا...؟؟

فقلت : إنى مؤتمن ، ولست ساقيكما ...

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، "هل عندك من شاة حائل ، لم يَنْزُ عليها الفحل"...؟؟

قلت : نعم .. فأتيتهما بها ، فاعتقلها النبى ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع .. ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فاحتلب فيها ، فشربوا ثم شربت .. ثم قال للضرع .. أقلص فقلص .. فمال ابن مسعود على أبى بكر وسأله من هذا ؟ فقال إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن مسعود فأتيت النبى بعد ذلك فى مكة ولما سمعته يقرأ القرآن أحببته وقلت له : علمنى من هذا القول .

فقال صلى الله عليه وسلم :"إنك غلامٌ مَعّلم" فقد علّمه ربه ، حتى صار فقيه الأمة ، وعميد حفظة القرآن .

يقول عن نفسه :"أخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبعين سورة ، لا ينازعنى فيها أحد" .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب أن يسمع القرآن غضًّا كما أنزل ، فليسمعه من ابن أم عبد" ...

ولطالما كان يطيب للرسول عليه السلام أن يستمع للقرآن من فم ابن مسعود وتحدث ابن مسعود بنعمة الله فقال :"والله ، ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم فى أى شيء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله منى ولو أعلم أحدًا تمتطى إليه الإبل أعلم منى بكتاب الله لأتيته وما أنا بخيركم" !!

ولقد شهد له بهذا السبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عنه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه "لقد مُلئ فقهًا" ...

وقال أبو موسى الأشعرى :"لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم" .. كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يحبه حبًّا عظيمًا وكان يحب فيه ورعه وفطنته وعظمة نفسه .

لم يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى سفر ، ولا فى حضر ، ولقد شهد المشاهد كلها ، والغزوات جميعها ، وكان له يوم بدر شأن مذكور مع أبى جهل الذى حصدته سيوف المسلمين ..

وعرف حلفاء الرسول وأصحابه له قدره .. فولاه أمير المؤمنين عمر على بيت مال الكوفة وقال لأهلها حين أرسله : إنى والله الذى لا إله إلا هو ، قد آثرتكم به على نفسى فخذوا منه وتعلموا" ..

ولقد أحبه أهل الكوفة حبًّا لم يظفر بمثله أحد قبله .. وإجماع أهل الكوفة على حب إنسان ، أمر يشبه المعجزات .. ذلك أنهم أهل تمرد وثورة ، لا يصبرون على طعام واحد ، ولا يطيقون الهدوء والسلام ..

لقد آتاه الله الحكمة مثلما أعطاه التقوى ، وكان يملك القدرة على رؤية الأعماق ، لنسمع له مثلًا وهو يلخص حياة عمر العظيمة فى تركيز باهر فيقول :"كان إسلامه فتحًا .. وكانت هجرته نصرًا .. وكانت إمارته رحمة .."

ويتحدث عما نسميه اليوم نسبية الزمان فيقول :"إن ربكم ليس عنده ليل ولا

نهار .. نور السماوات والأرض من نور وجهه" ومن كلماته الجامعة :"خير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى وشر العمى عمى القلب ، وأعظم الخطايا الكذب، وشر المكاسب الربا وشر المأكل اليتيم ومن يعف ، يعف الله عنه ، ومن يغفر ، يغفر الله له ".

هذا هو الرجل النحيف ، القصير له ساقان ناحلتان دقيقتان .. صعد بها يومًا أعلى شجرة يجتنى منها أراكًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أصحاب النبى دقتها فضحكوا ، فقال عليه الصلاة والسلام: "تضحكون من ساقى ابن مسعود ، لهما أثقل فى الميزان عند الله من جبل أُحد!" أجل .. هذا هو الفقير ، الأجير ، الناحل الوهنان .. الذى جعل منه إيمانه ويقينه إمامًا من أئمة الخير والهدى والنور ...

أبو أيوب الأنصارى

" انفروا خفافًا وثقالًا "

كان الرسول عليه السلام يدخل المدينة مختتمًا بمدخله هذا رحلة هجرته الظافرة، وسار وسط الجموع التى اضطرمت صفوفها وأفئدتها حماسة ومحبة وشوقًا .. ممتطيًا ظهر ناقته التى تزاحم الناس حول زمامها كلٌّ يريد أن يستضيف رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمام دار مالك بن النجار بركت الناقة .. ثم نهضت وطوفت بالمكان ، ثم عادت إلى مبركها الأول ، واستقرت فى مكانها ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عنها متفائلًا مستبشرًا وتقدم أحد المسلمين وقد تهلل وجهه فرحًا وغبطة ، تقدم فحمل الرحل ، وأدخله بيته ثم دعا الرسول صلى الله عليه وسلم للدخول أتدرون من كان هذا السعيد الموعود الذى بركت الناقة أمام داره وصار الرسول ضيفه ، ووقف أهل المدينة يغبطونه على حظوظه الوافية ...؟؟

إنه بطل حديثنا هذا .. أبو أيوب الأنصارى.

اسمه : خالد بن زيد ، حفيد مالك بن النجار.

لم يكن هذا أول لقاء لأبى أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن قبل ، وحين خرج وفد المدينة لمبايعة الرسول فى مكة تلك البيعة المباركة المعروفة "بـ بيعة العقبة الثانية" كان "أبو أيوب الأنصارى" بين السبعين مؤمنًا الذين شدوا أيمانهم على يمين الرسول مبايعين ، مناصرين ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى دار "أبى أيوب" حتى يتم بناء المسجد ، وبناء حجرة له بجواره ..

ومنذ بدأت قريش تتنمر للإسلام وتشن غاراتها على دار الهجرة بالمدينة ، وتؤلب القبائل وتجيش الجيوش لتطفئ نور الله ..

منذ تلك البداية ، احترف أبو أيوب صناعة الجهاد فى سبيل الله ، ففى بدر ، وأحد ، والخندق ، وفى المشاهد والمغازى ، كان البطل هناك بائعًا نفسه وماله لله رب

العالمين ..

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يتخلف عن معركة كُتب على المسلمين أن يخوضوها ، مهما يكن بُعد الشقة وفداحة المشقة ..!! وكان شعاره .. قول الله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾.

كان حسبه أن يعيش جنديًّا فى جيش الإسلام ، لم يكد يبصر جيش الإسلام يتحرك صوب القسطنطينية حتى ركب فرسه ، وحمل سيفه ، وراح يبحث عن استشهاد عظيم طالما حنَّ إليه واشتاق ..!!

وفى هذه المعركة أصيب ..

وذهب قائد الجيش يعوده ، وكانت أنفاسه تسابق أشواقه إلى لقاء الله .. فسأله القائد ، وكان "يزيد بن معاوية" "ما حاجتك أبا أيوب" ؟

ترى ، هل فينا من يستطيع أن يتصور ، أو يتخيل ماذا كانت حاجة أبى أيوب..؟؟

كلا .. فقد كانت حاجته وهو يجود بروحه شيئًا يعجز ويعيى كل تصور ، وكل تخيل لبنى الإنسان ..!!

لقد طلب من "يزيد بن معاوية" إذا هو مات أن يحمل جثمانه فوق فرسه ، ويمضى به أطول مسافة ممكنة فى أرض العدو ، وهناك يدفنه، ولقد أنجز "يزيد" وصية "أبى أيوب" ..

وفى قلب القسطنطينية – وهى اليوم "إستامبول" – ثرى جثمان رجل عظيم ، جد عظيم ..!!

وحتى قبل أن يغمر الإسلام تلك البقاع ، كان أهل القسطنطينية من الروم ، ينظرون إلى "أبى أيوب" فى قبره ، نظرتهم إلى قديس ويقول المؤرخين .. "وكان الروم يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا" ..!!

كان "أبو أيوب" يؤمن بالنصر ، وكان يرى بنور بصيرته هذه البقاع ، وقد أخذت مكانها بين واحات الإسلام .

ومن ثم أراد أن يكون مثواه الأخير هناك كانت هذه أمنيته "اذهبوا بجثمانى بعيدا .. بعيدا.. فى أرض الروم ثم ادفنونى هناك" .. فى عاصمة تلك البلاد ، حيث ستكون المعركة الأخيرة الفاصلة ، وحيث يستطيع تحت ثراه الطيب ، أن يتابع جيوش الإسلام فى زحفها فيسمع خفق أعلامها ، وصهيل خيلها ، ووقع أقدامها ، وصلصلة سيوفها..!!

وإنه اليوم فى مثواه الأخير هناك .. لا يسمع صلصلة السيوف ، ولا صهيل الخيل .. فقد قضى الأمر واستوت على الجودى من أمد بعيد لكنه يسمع كل يوم من صبحه إلى مسائه ، روعة الأذان المنطلق من المآذن المشرعة فى الآفق .. أن :

الله أكبر ... الله أكبر ...

وتجيب روحه المغتبطة فى دار خلدها ،

هذا ما وعدنا الله ورسوله

وصدق الله ورسوله ....

سعد بن معاذ

لقد اهتز عرش الرحمن لموته

فى العام الواحد والثلاثين من عمره ، أسلم

وفى العام السابع والثلاثين ، مات شهيدًا

وبين يوم إسلامه ، ويوم وفاته ، قضى "سعد بن معاذ" رضى الله عنه أيامًا شاهقة فى خدمة الله ورسوله ..

هذا الرجل الوسيم ، الجليل ، الفارع الطول ، المشرق الوجه ، الجسيم الجزل...؟

إنه يقطع الأرض وثبًا إلى دار "أسعد بن زرارة" ليرى هذا الرجل الوافد من مكة "مُصعب بن عمير" الذى بعث به "محمد عليه الصلاة والسلام" إلى المدينة يبشر فيها بالتوحيد والإسلام ..

أجل .. هو ذاهب إلى هناك ليدفع بهذا الغريب خارج حدود المدينة ، حاملًا معه دينه .. وتاركًا للمدينة دينها..!!

ولكنه لا يكاد يقترب من مجلس "مُصعب" فى دار ابن خالته "أسعد بن زرارة" حتى ينتعش فؤاده بنسمات حلوة هبت عليه هبوب العافية ولا يكاد يبلغ الجالسين ، ويأخذ مكانه بينهم ، ملقيًا سمعه لكلمات "مُصعب" حتى تكون هداية الله قد أضاءت نفسه وروحه وفى إحدى مفاجآت القدر الباهرة المذهلة يلقى زعيم الأنصار حربته بعيدًا ، ويبسط يمينه مبايعًا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبإسلام "سعد بن معاذ" تشرق فى المدينة شمس جديدة .

أسلم سعد .. وحمل تبعات إسلامه فى بطولة وعظمة وتجىء .. غزوة بدر ....

ويجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصحابه من المهاجرين والأنصار ،

ليشاورهم فى الأمر .

ويبمم وجهه الكريم شطر الأنصار ويقول : "أشيروا على أيها الناس ..

وينهض "سعد بن معاذ" يقول :"يا رسول الله .. لقد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا .. فامض يا رسول الله لما رأيت ، فنحن معك .. والذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا .. إنا لُصُبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء .. ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك .. فسر بنا على بركة الله" ، تألق وجه الرسول رضًا وسعادةً وغبطة فقال للمسلمين: "سيروا وأبشروا ، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين .. والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم".

وفى غزوة أحد وقف بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، يذود عنه ويدافع فى استبسال هو له أهل ، وبه جدير !!

وجاءت غزوة الخندق ، لتتجلى رجولة "سعد" وبطولته تجليًا باهرًا فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه يحيون بالمدينة فى سلام يعبدون ربهم ويرجون أن تكف قريش عن إغارتها وحروبها ، إذا فريق من زعماء اليهود يخرجون خلسة إلى مكة محرضين قريشًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباذلين لها الوعود والعهود على أن يقفوا بجانب القرشيين إذا هم خرجوا لقتال المسلمين .. واتفقوا مع المشركين ، ووضعوا معًا خطة القتال والغزو ..

وفى طريقهم وهم راجعون إلى المدينة حرضوا قبيلة من أكبر قبائل العرب ، هى "غطفان" واتفقوا مع زعمائها على الانضمام لجيش قريش، ووضعت خطة الحرب ، ووزعت أدوارها .. فقريش وغطفان يهاجمان المدينة بجيش عرمرم كبير ، واليهود يقومون بدور تخريبى داخل المدينة وحولها فى الوقت الذى يباغتها فيه الجيش المهاجم، ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم ، بالمؤامرة الغادرة راح يعد لها العدة

وأخذ بمشورة سلمان الفارسى الذى قال: يا رسول الله نحفر خندقًا حول المدينة ليعوق زحف المهاجمين .

وأرسل سعد بن معاذ ، وسعد بن عُبادة إلى كعب بن أسد زعيم يهود بنى قريظة، ليتبينا حقيقة موقف هؤلاء من الحرب المرتقبة ، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين يهود بنى قريظة عهود ومواثيق ..

فلما التقى مبعوثا الرسول بزعيم بنى قريظة فوجئا به يقول لهم :"ليس بينا وبين محمد عهد ولا عقد" ..!! علم رسول الله بهذا الأمر ففكر فى أن يعزل غطفان عن قريش فينقص الجيش المهاجم نصف عدده ، ونصف قوته وراح يفاوض زعماء غطفان على أن ينفضوا أيديهم من هذه الحرب ، ولهم لقاء ذلك ثلث ثمار المدينة ، ورضى قادة غطفان ، ولم يبق إلا أن يسجل الاتفاق فى وثيقة ممهورة ..

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إليه أصحابه ليشاورهم فى هذا الاتفاق واهتم اهتمامًا خاصًّا برأى سعد بن معاذ ، وسعد بن عُبادة فهما زعيما المدينة ..

قص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليهما حديث التفاوض الذى جرى بينه وبين زعماء غطفان ، وذلك ليبعد عن المدينة وأهلها هذا الهجوم الخطير الرهيب.

وتقدم سعد بن معاذ ، وسعد بن عُبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السؤال : "يا رسول الله .. أهذا رأى تختاره ، أم وحى أمرك الله به " ؟؟

قال رسول الله : "بل أمر أختاره لكم".

قال سعد بن معاذ :"يا رسول الله .. قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا ثمرة ، إلا قِرّى – أى كرمًا وضيافة – أو بيعًا – أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له ، وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا..؟؟

والله ما لنا بهذا من حاجة .. ووالله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا

وبينهم" !!

وعلى الفور ، عدل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن رأيه ، وأنبأ زعماء "غطفان" أن أصحابه رفضوا مشروع المفاوضة، وأنه أقر رأيهم والتزم به وبعد أيام شهدت المدينة حصارًا رهيبًا .. وخرج سعد بن معاذ حاملًا سيفه ورمحه ، وفى إحدى الجولات تلقت ذراع "سعد" سهمًا وبيلًا ، قذفه به أحد المشركين ..

وتفجر الدم من وريده وأسعف سريعًا إسعافًا مؤقتا وأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يحمل إلى المسجد وأن تنصب له به خيمه حتى يكون على قرب منه .. ورفع "سعد" بصره شطر السماء وقال :"اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها .. فإنه لا قوم أحب إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه ، وأخرجوه .. وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل ما أصابنى اليوم طريقًا للشهادة .. ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة" ..!!

ولقد استجاب الله دعاءه .. فكانت إصابته هذه طريقه إلى الشهادة ، إذ لقى ربه بعد شهر متأثرًا بجراحة ، .. ولكنه لم يمت حتى شفى صدرًا من بنى قريظة ...

ذلك أنه بعد أن يئست قريش من اقتحام "المدينة" ودب فى صفوف جيشها الهلع، حمل الجميع متاعهم وسلاحهم ، وعادوا مخذولين إلى "مكة" .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ترك يهود بنى قريظة ، يفرضون على "المدينة" غدرهم كلما شاءوا ، أمر لم يعد من حقه أن يتسامح تجاهه ..

هناك أمر أصحابه بالسير إلى "بنى قريظة" .. وهناك حاصروهم خمسة وعشرين يومًا ..

ولما رأى هؤلاء ألا منجى لهم من المسلمين ، استسلموا وتقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يحكم فيهم "سعد بن معاذ" وكان "سعد" حليفهم فى الجاهلية ..

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم ، من أصحابه من جاءوا بسعد بن معاذ من

مخيمه الذى كان يُمرض فيه بالمسجد ...

جاء محمولًا على دابة ، وقد نال منه الإعياء والمرض وراح "سعد" يستعيد محاولات الغدر التى كان آخرها غزوة الخندق والتى كادت المدينة تهلك فيها بأهلها.

وقال سعد :"إنى أرى أن يقتل مقاتلوهم .. وتسبى ذراريهم .. وتقسم أموالهم.."

وهكذا لم يمت "سعد" حتى شفى صدره من بنى قريظة كان جرح "سعد" يزداد خطره كل يوم ، بل كل ساعة وذات يوم ذهب رسول الله لعيادته ، فوجده فى لحظات الوداع فأخذ عليه السلام رأسه ووضعه فى حجره ، وابتهل إلى الله قائلًا: "اللهم إن سعدًا قد جاهد فى سبيلك وصدق رسولك وقضى الذى عليه ، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحًا".

يقول "أبو سعيد الخدرى" رضى الله عنه: "كنت ممن حفروا لسعد قبره .. وكنا كلما حفرنا طبقة من تراب ، شممنا ريح المسك .. حتى انتهينا إلى اللحد".

وكان مصاب المسلمين فى "سعد" عظيمًا .. ولكن عزاءهم كان جليلًا ، حين سمعوا رسولهم الكريم يقول :

"لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ" .....

صُهيب بن سنان

"رَبِحَ البيعُ أبا يحيى !!"

كان أبوه حاكم "الأُبلّة" ووالياً عليها لكسرى .. وكان صُهيب يعيش فى قصره القائم على شاطئ الفرات ، مما يلى الجزيرة والموصل عاش الطفل ناعمًا سعيدًا.

وذات يوم تعرضت البلاد لهجوم الروم .. وأسر المغيرون أعدادًا كثيرة وسبوا ذلك الغلام "صهيب بن سنان" ويقتنصه تجار الرقيق وينتهى تطوافه الطويل إلى مكة ، حيث بيع لـ "عبدالله بن جُدعان" ويعجب سيده بذكائه ونشاطه وإخلاصه ، فيعتقه ويحرره ويهيئ له فرصة الاتجار معه ..

أخذ "صُهيب" مكانه فى قافلة المؤمنين .. وأخذ مكانًا فسيحًا وعاليًا بين صفوف المضطهدين والمعذبين ..!! ومكانًا عاليًا كذلك بين صفوف الباذلين والمفتدين .. إنه ليتحدث صادقًا عن ولائه العظيم لمسئولياته كمسلم بايع الرسول ، وسار تحت راية الإسلام ، فيقول :"لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشهدًا قط ، إلا كنت حاضره .. ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها .. ولم يسير سرية قط ، إلا كنت حاضرها .. ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره ، إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين العدو أبدًا حتى لقى ربه"..!!

ولقد افتتح أيام نضاله النبيل وولائه الجليل بيوم هجرته ، ففى ذلك اليوم تخلى عن كل ثروته وجميع ذهبه الذى أفاءته عليه تجارته الرابحة خلال سنوات كثيرة قضاها فى مكة .. فى لحظة لم يشب جلالها تردد ولا نكوص فعندما هم الرسول بالهجرة ، علم صُهيب بها ، وكان المفروض أن يكون ثالث ثلاثة هم : الرسول .. وأبو بكر .. وصُهيب ولكن صُهيب وقع فى بعض فخاخهم ، فعوق عن الهجرة بعض الوقت بينما كان الرسول وصاحبه قد اتخذا سبيلهما على بركة الله ..

وحاول صهيب حتى استطاع أن يفلت منهم ، وامتطى ظهر ناقته وانطلق يقطع بها الصحراء وثبًا .

لكن قريشًا أرسلت فى أثره قناصتها فأدركوه .. ولم يكد "صهيب" يراهم ويواجههم من قريب حتى صاح فيهم قائلًا :"يا معشر قريش .. لقد علمتم أنى من أرماكم رجلًا .. وأيم الله لا تصلون إلىّ حتى أرمى بكل سهم معى ثم أضربكم بسيفى حتى لا يبقى فى يدى منه شىء فأقدموا إن شئتم .. وإن شئتم دللتكم على مالى، وتتركونى وشأنى" ..

ولقد قبلوا أن يأخذوا ماله قائلين له :

أتيتنا صعلوكًا فقيرًا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت بيننا ما بلغت ، والآن تنطلق بنفسك وبمالك ..؟؟

فدلهم على المكان الذى خبأ فيه ثروته ، وتركوه وشأنه واستأنف "صهيب" هجرته وحيدًا سعيدًا حتى أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام فى "قباء".

كان الرسول جالسًا وحوله بعض أصحابه حين أهل عليهم "صُهيب" ، ولم يكد الرسول يراه حتى ناداه متهللًا :"ربح البيع أبا يحيى ..!! ربح البيع أبا يحيى" ..!! وآنئذ نزلت الآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

اجل ، لقد اشترى "صُهيب" نفسه المؤمنة بكل ثروته ومع هذا كان جوادًا معطاء .. ينفق كل عطائه من بيت المال فى سبيل الله ، يُعين محتاجًا .. يُغيث مكروبًا.

ولئن كانت حياة "صُهيب" مترعة بالمزايا والعظائم ، فإن اختيار عمر بن الخطاب إياه ليؤم المسلمين فى الصلاة مزية تملأ حياته عظمة ، فعندما اعْتُدِىَ على

أمير المؤمنين وهو يصلى بالمسلمين صلاة الفجر ، وعندما أحس نهاية الأجل اختار "صُهيب" ليؤم المسلمين فى صلواتهم .اختاره ليكون إمام المسلمين فى الصلاة إلى حين ينهض الخليفة الجديد .. بأعباء مهمته ..

اختاره وهو يعلم أن فى لسانه عجمة ، فكان هذا الاختيار من تمام نعمة الله على عبده الصالح "صُهيب" ..

سعد بن عُبادة

حاملُ راية الأنصار

زعيم الخزرج .. أسلم مبكرًا ، وشهد بيعة العقبة ، وعاش إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم جنديًّا مطيعًا ومؤمنًا صدوقًا .. ولكن سعد بن عُبادة، من بين الأنصار جميعًا حمل نصيبه من تعذيب قريش الذى كانت تنزله بالمسلمين فى مكة ..!! وذلك أنه بعد أن تمت بيعة العقبة سرًّا ، وأصبح الأنصار يتهيئون للسفر إلى المدينة ، علمت قريش بما كان من مبايعة الأنصار واتفاقهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على الهجرة إلى المدينة حيث يقفون معه ومن ورائه ضد قوى الشرك والظلام وجُن جنون قريش ، فراحت تطارد الركب المسافر حتى أدركت من رجاله "سعد بن عُبادة" فأخذه المشركون ، وربطوا يديه إلى عنقه بشراك رحله وعادوا به إلى مكة حيث احتشدوا حوله يضربونه وينزلون به ما شاءوا من العذاب ، هل "سعد بن عبادة" من يُصنع به هذا ...؟؟

زعيم المدينة ، الذى طالما أجار مستجيرهم ، وحمى تجارتهم ، وأكرم وفادتهم حين يذهب منهم إلى المدينة ذاهب ..؟؟

ولندع "سعد" يحكى بقية النبأ يقول : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفر من قريش ، فقال : ويحك ، أما بينك وبين أحد من قريش جوار ..؟ قلت : بلى .. كنت أُجير لجبير بن مُطعم تجاره ، وأمنعهم ممن يريد ظلمهم ببلادى ، وكنت أُجير للحارث بن حرب بن أمية .. قال الرجل : فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما من جوار ، ففعلت .. وخرج الرجل إليهما فأنبأهما أن رجلًا من الخزرج يضرب بالأبطح ، وهو يهتف باسميهما ويذكر أن بينه وبينهما جوارًا فسألاه عن اسمه فقال : سعد بن عبادة" .. فقالا : صدق والله ،وجاءا فخلصانى من أيديهم" .

غادر "سعد" مكة بعد هذا العدوان الذى صادفه ، ليعلم كم تتسلح قريش

بالجريمة ضد قوم عُزّل يدعون إلى الخير والحق ويهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ويهاجر قبله أصحابه وهناك سخّر "سعد" أمواله لخدمة المهاجرين ، وكان سعد جوادًا بالفطرة وبالوراثة .

فهو ابن عبادة بن دليم بن حارثة الذى كانت شهرة جوده فى الجاهلية أوسع من كل شهرة ولقد صار جود "سعد" فى الإسلام آية من آيات إيمانه القوى ولم يضع "سعد" ثروته وحدها فى خدمة الإسلام الحنيف بل وضع قوته ومهارته ، فقد كان يجيد الرمى إجادة فائقة وفى غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت فدائيته حاسمة يقول عبدالله بن عباس رضى الله عنهما :"كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المواطن كلها رايتان .. مع علىّ بن أبى طالب ، راية المهاجرين .. ومع سعد بن عُبادة ، راية الأنصار .

ويبدو أن الشدة كانت طابع هذه الشخصية القوية .. فهو شديد فى الحق .. وشديد فى تشبثه بما يرى لنفسه من حق وإذا اقتنع بأمر نهض لإعلانه فى صراحة لا تعرف المداراة ويدلنا على هذه السجية ، موقفه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة "حنين" .

فحين انتهى المسلمون من تلك الغزوة ظافرين ، راح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوزع غنائمها على المسلمين..واهتم يومئذ اهتمامًا خاصًا بالمؤلفة قلوبهم ، وهم أولئك الذين دخلوا الإسلام من قريب ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يساعدهم على أنفسهم بهذا التألف ، كما أعطى ذوى الحاجة من المقاتلين وأما أولو الإسلام المكيين فقد وكَلَهم إلى إسلامهم ، ولم يعطهم من غنائم هذه الغزوة شيئًا ..

وتساءل الأنصار فى مرارة : لماذا لم يعطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حظهم من الفىء والغنيمة ...؟؟

وسمع زعيم الأنصار "سعد بن عُبادة" قومه يتهامس بعضهم بهذا الأمر ، فلم

يرضه هذا الموقف ، واستجاب لطبيعته الواضحة الصريحة ، وذهب من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : "يا رسول الله .. إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفيء الذى أصبت .. قسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شيء" ..

هكذا أعطى الرسول صورة أمينة عن الموقف وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "وأين أنت من ذلك يا سعد" ؟ فأجاب سعد بنفس الصراحة قائلًا : "ما أنا إلا من قومى" ....

هنالك قال له النبى : "إذن فاجمع لى قومك" ..

جمع "سعد" قومه من الأنصار ..

وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابتسم ابتسامة متألقة بعرفان جميلهم وتقدير صنيعهم ...

ثم قال :"يا معشر الأنصار .. مقالة بلغتنى عنكم وحدةً وجدتموها علىّ فى أنفسكم ..؟؟

ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ..؟؟ وعالةً ، فأغناكم الله ..؟؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم ..؟؟

قالوا : بلى ، الله ورسوله أمنّ وأفضل ..

قال الرسول :"ألا تُجيبوننى يا معشر الأنصار ..؟؟"

قالوا :"بم نُجيبك يا رسول الله ..؟؟ لله ولرسوله المن والفضل .."

قال الرسول :" أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم وصُدِّقتم .. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لُعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ..؟؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ،

وترجعوا أنتم برسول الله إلى رحالكم ..؟؟ فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .. ولو سلك الناس شِعبًا لسلكت شِعب الأنصار .. اللهم ارحم الأنصار .. وأبناء الأنصار .. وأبناء أبناء الأنصار" .. !!

هنالك بكى الأنصار حتى ابتلت لحاهم .. وصاحوا جميعًا وسعد بن عُبادة معهم: "رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا" ..

وفى الأيام الأولى من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه شد سعد بن عبادة رحاله إلى الشام وما كاد يبلغها وينزل أرض "حوران" حتى دعاه أجله وأفضى إلى جوار ربه الرحيم ....

سُهيل بن عمرو

" من الطُلقاء إلى الشُهداء "

عندما وقع أسيرًا بأيدى المسلمين فى "غزوة بدر" اقترب "عمر بن الخطاب" من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : "يا رسول الله .. دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيبًا بعد اليوم".

فأجابه الرسول العظيم :

"كلا يا عمر .. لا أُمثل بأحد ، فيمثل الله بى ، وإن كنت نبيًّا" ..!! ثم أدنى عمر منه ، وقال عليه السلام : "يا عمر .. لعل سُهيلًا يقف غدًا موقفًا يسرك" ..!!

ودارت الأيام .. وصدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم .. وتحول أعظم خطباء قريش "سهيل بن عمرو" إلى خطيب باهر من خطباء الإسلام .. وتحول المشرك اللدود .. إلى مؤمن أواب ، لا تكف عيناه عن البكاء من خشية الله ..!! وتحول واحد من كبار زعماء قريش وقادة جيوشها ، إلى مقاتل صلب فى سبيل الإسلام .. مقاتل عاهد نفسه أن يظل فى رباط وجهاد حتى يدركه الموت على ذلك ، عسى الله أن يغفر ما تقدم من ذنبه ..!!

فمن كان ذلك المشرك العنيد ، والمؤمن التقى الشديد ..!! إنه "سهيل بن عمرو".

واحد من زعماء قريش المبرّزين ، ومن حكمائها وذوى الفطنة والرأى فيها .. وهو الذى انتدبته قريش ليقنع الرسول بالعدول عن دخول مكة عام الحديبية.. ففى آخر العام الهجرى السادس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه إلى مكة للعمرة .. لا يريدون حربًا – وليسوا مستعدين لقتال .. وعلمت قريش بمسيرهم إلى مكة ، فخرجت لتقطع عليهم الطريق وقصدهم عن وجهتهم .. وتأزم

الموقف ، وتوترت الأنفس وراحت قريش ترسل رسلها ومندوبيها إلى النبى عليه الصلاة والسلام فيخبرهم أنه لم يأت لقتال ، إنما جاء يزور البيت الحرام ويعظم حرماته وكلما عاد إلى قريش أحد مندوبيها ، أرسلت من بعده آخر أقوى شكيمة ، وأشد إقناعًا حتى اختاروا "عُروة بن مسعود الثقفى" وظنت قريش أن "عُروة" قادر على إقناع الرسول بالعودة إلى المدينة ولكنه لم ينجح فى مهمته وعاد يقول لهم : "يا معشر قريش .. إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه .. وإنى والله ما رأيت ملكًا قط يعظمه قومه كما يعظم أصحاب محمد محمدًا..!! ولقد رأيت حوله قومًا لن يسلموه لسوء أبدًا .. فانظروا رأيكم ..!! عندئذ آمنت قريش أنه لا جدوى من محاولاتها وقررت أن تلجأ إلى المفاوضة والصلح .. واختارت أصلح زعمائها وكان "سُهيل بن عمرو" ..

جلس "سُهيل" بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودار حوار طويل انتهى بالصلح ..

أسلم "سُهيل" يوم فتح مكة مع الذين أسلموا وأطلق على الذين أسلموا اسم "الطلقاء" أى الذين نقلهم عفو الرسول من الشرك إلى الإسلام ..

بيد أن نفرًا من أولئك "الطلقاء" جازوا هذا الحظ بإخلاصهم وسموا إلى آفاق بعيدة من التضحية والعبادة والطهر من هؤلاء "سُهيل بن عمرو" الذى لم يكن إسلامه ساعتئذ ، إسلام رجل منهزم مستسلم ، بل كان إسلام رجل بهرته وأسرته عظمة "محمد" صلى الله عليه وسلم ، وعظمة الدين .. وبعد أن ذاق حلاوة الإيمان ، أخذ على نفسه عهدًا لخصه فى هذه الكلمات : "والله لا أدع موقفًا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله .. ولا نفقه أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثلها لعل أمرى أن يتلو بعضه بعضًا" ..!!

وهكذا راح يُصلِّى .. ويُصلِّى .. ويصوم .. ولا يدع عبادة تجلو روحه، وتقربه

من ربه الأعلى إلا أخذ منها حظًّا وافيًا .. أخذ سهيل مكانه فى جيش الإسلام ، مقاتلًا شجاعًا ، يطفئ مع كتائب الحق نار الفرس التى يعبدونها من دون الله ، ويدمدم مع كتائب الحق أيضًا على ظلمات الرومان وظلمهم وينشر كلمة التوحيد والتقوى فى كل مكان ...

وهكذا خرج إلى الشام مع جيوش المسلمين ، مشاركًا فى حروبها .

ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، لم يكد النبأ يبلغ مكة وكان "سُهيل" ، يومئذ مقيمًا بها ، حتى غشى المسلمين هناك من الهرج والذهول ما غشى المسلمين بالمدينة .

وإذا كان ذهول المدينة ، قد بدده " أبو بكر " رضى الله عنه ساعتئذ بكلماته الحاسمة .

فسيأخذنا العجب حين نرى "سُهيلًا" رضى الله عنه هو الذى وقف بمكة ، نفس موقف أبى بكر بالمدينة .

فقد جمع المسلمين كلهم هناك ووقف يبهرهم بكلماته الباهرة ويخبرهم أن "محمدًا" كان رسول الله حقًّا .. وأنه لم يمت حتى أدى الأمانة وبلّغ الرسالة .. وأن واجب المؤمنين به أن يسيروا على نهجه من بعده ..

وبموقف "سُهيل" وبكلماته الرشيدة وإيمانه الوثيق درأ الفتنة التى كادت تقتلع إيمان بعض الناس بمكة حين بلغهم نبأ وفاة الرسول ...!!

وفى هذا اليوم تألقت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألم يقل "لعمر" يوم استأذنه فى نزع ثنيتى "سُهيل" أثناء أسره ببدر :"دعها ، فلعلها تسرك يومًا" ..؟!

ففى هذا اليوم .. وحين بلغ المسلمين بالمدينة موقف سُهيل بمكة وخطابه الباهر الذى ثبت الإيمان فى الأفئدة .. تذكر "عمر بن الخطاب" نبوءة رسوله .. وضحك

طويلًا ، إذ جاء اليوم الذى انتفع فيه الإسلام بثنيتى "سُهيل" اللتين كان عمر يريد تهشيمهما واقتلاعهما ..!!

ويوم " اليرموك " حيث خاض المسلمون موقعة تناهت فى الضراوة والعنف والمخاطرة .. كان سُهيل بن عمرو يكاد يطير من الفرح ، إذ وجد هذه الفرصة لكى يبذل من ذات نفسه فى هذا اليوم العصيب ما يمحق به خطايا جاهليته وشركه وكان يحب وطنه "مكة" حبًّا ينسيه نفسه ومع ذلك ، فقد أبى أن يرجع إليها بعد انتصار المسلمين بالشام وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :"مقام أحدكم فى سبيل الله ساعة ، خير له من عمله طوال عمره" .. وإنى لمرابط فى سبيل الله حتى أموت ، ولن أرجع إلى مكة، ووفى "سُهيل" عهده ، وظل بقية حياته مرابطًا حتى جاء موعد رحيله فطارت روحه مسرعة إلى رحمة من الله ورضوان ....

محتويات الكتاب

الإهـداء	٧
المقدمة:	٩
١- مُصعب بن عمير	١١
٢- سلمان الفارس	١٩
٣- أبو ذر الغفارى	٣١
٤- بلال بن رباح	٣٩
٥- عبدالله بن عمر	٤٧
٦- معاذ بن جبل	٥٣
٧- حمزة بن عبد المطلب	٥٧
٨- جعفر بن أبى طالب	٦٥
٩- عبدالله بن عباس	٧١
١٠- الزبير بن العوام	٧٥
١١- طلحة بن عبيدالله	٧٩
١٢- سعد بن أبى وقاص	٨٥
١٣- أبو عبيدة بن الجراح	٩٣
١٤- زيد بن ثابت	٩٩
١٥- زيد بن حارثة	١٠٥
١٦- عبدالله بن رواحة	١١١

١٧- عبدالله بن مسعود ١١٧
١٨- أبو أيوب الأنصارى ١٢٣
١٩- سعد بن معاذ ١٢٩
٢٠- صهيب بن سنان ١٣٧
٢١- سعد بن عبادة ١٤٣
٢٢- سهيل بن عمرو ١٤٩
الفهرس ١٥٥